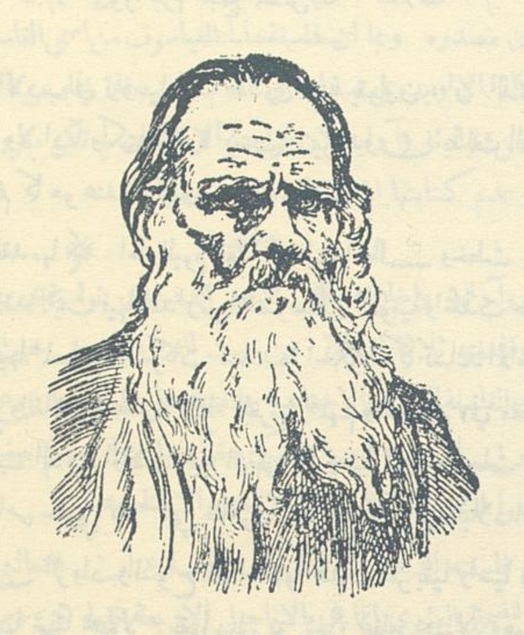


الجزء السابع السنة الثانية

الاسكندرية اكتوبر (تشرين اول) سنة ١٩٠٠ — جمادى الثانية سنة ١٣١٨



الفيلسوف تولستوي الشهير

الذي حرمه المجمع المقدس الروسي في هذا العام

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

الكونت لاون تولستوي

الفيلسوف الروسي الشهير

تجارة الكتب في روسيا وعندنا · الروس اعجب البشر · فلسفته وادابه واخلاقه · رأيه في الحرب على الاطلاق وفي البوير والتحالف الثنائي · ميله لروسو · كتاب غريب وجواب أغرب · قطعة من كتابه (البعث) الذي اعجب به الفلاسفة والكتاب في العالم كله. صورة حرم المجمع المقدس له · الخلاصة

كان رجال الادب في روسيا منذ خمسين سنة يقولون : ان الذي عندنا من العلم والادب ليس علماً ولا ادباً ولكنه تجارة كتب · يريدون بذلك الدلالة على انحطاط شان الادب عندهم كما هو عندنا الآن

❊روسيا وتقدمها❊ اما اليوم فقد تبدلت الحال وخطت روسيا الى الامام خطوات واسعة فقد اقيمت فيها المدارس الخصوصية والعمومية واتخذت طرق التعليم الالزامي في بعضها وقامت فيها المصانع والشركات تساعدها الحكومة كما تساعد الام طفلها ونبغ فيها الكتاب والعلماء والفلاسفة فجاروا علماء الغرب بعلمهم وفلسفتهم وفي مقدمتهم الفيلسوف الكونت تولستوي الذي ارتقت فيه النفس الروسية الى درجات الحكمة فدلت على ان ارتقاء الروس امر حقيقي لا سطحي ظاهري كما هو الآن في البلاد الشرقية

ويقولون ان الرواد والسواح قد خاضوا ظلمات افريقيا واسيا واميركا فاكتشفوا مجاهيلها ولم يبقوا فيها شيئاً مجهولاً · نقول بلى بقي شيء عظيم مجهولاً وهو النفس الروسية · فان هذا الشعب العظيم الذي يساوي نجوم السماء عدداً والمنتشر في اراض واسعة لا يعرف لها المسافر بداية من نهاية انما هو مجموع قوى عظيمة كامنة في طيات نفسه العقيمة وهي اليوم تبرز شيئاً فشيئاً ولذلك يسمون الرجل الروسي « رجلاً عجيباً » ويقولون « اذا كان الانسان اعجب المخلوقات فالانسان الروسي اعجب بني الانسان »

ونحن نزيد على ذلك « اذا كان الروس اعجب بني الانسان فالفيلسوف تولستوي اعجب الروس بلا مراء »

ولد هذا الفيلسوف في سنة ١٨٢٨ فعمره اليوم ٧٢ سنة وهو من اسرة نبيلة خدمت روسيا بالسيف والقلم فقد كان منها الكونت دي تولستوي السياسي الشهير الذي توفي في سنة ١٧٢٩ والجنرال تولستوي القائد الذي توفي في سنة ١٨٤٤

وقد انصرف تولستوي في شبابه الى ما انصرف اليه اجداده من خدمة امته بالسيف والقلم ولكن عرضت له في حياته امور جعلته يكره الاجتماع و يتنحى عن البشر فاخذ يكتب و يؤلف محاربًا الشر في العالم وداعيًا الى الفضيلة والخير والدين البسيط · فوجدت كتاباته هوى شديدًا في نفوس الشعب الروسي لانه يخاطبهم بروايات يفهمون لغتها فاحبوه حبًا شديدًا الا انه على ما يقول مناظروه قد تطرف في بعض الاقوال الدينية فحرمه المجمع المقدس في هذا العام كما ترى في ما يلي حرمانًا كان له صدى اليم في كل نفس حرة تكره الاضطهاد ايًا كان مصدره وبما ان فلسفة هذا الفيلسوف من اسمى الفلسفات البشرية الآن وهو لا يقول كلمة الا ويدوي صداها في العالم باسره فلا يخلو من فائدة ان نطلع القراء على ما وقفنا عليه من مبادئه وآدابه لان تراجم الاعلام ان لم تكن مقرونة بالمبادىء والنتائج الادبية فالاجدر عدم كتابتها اذ لا فائدة للناس منها

***

﴿ فلسفته وآدابه واخلاقه ﴾ اشتهر الفيلسوف تولستوي ببسط فلسفته في روايات يؤلفها وفلسفته ثلاثة اقسام من حيث الدين · ومن حيث الاجتماع ومن حيث الفنون · اي الفلسفة الدينية والاجتماعية والفنية · على انها كلها فروع لشجرة واحدة لانها مبنية على قاعدتين الاولى " احبوا بعضكم بعضًا وساعدوا بعضكم بعضًا في كل شؤونكم " والثانية " لا تقاوموا الشر بالشر فان الشر لا يقتله الا الخير "

وقد اوصلته فلسفته الدينية الى النتيجة التالية « ان التعاليم المسيحية التي تستحق ان تكون قاعدة للضمير البشري انما هي الاناجيل الاربعة فقط متى ومرقس ولوقا و يوحنا وما سواها فخارج عن الديانة المسيحية الحقيقية · فعلى من اراد ان يكون مسيحيًا حقيقيًا ان لا يتمسك بشيء يناقضها وان يعيش كما عاش المسيحيون الاولون من حيث البساطة والقناعة والاشتراك والحرية »

هذه هي فلسفته الدينية اما فلسفته الاجتماعية فهي هذه « يقولون ان الهيئة الاجتماعية

فاسدة رديئة . نعم ولكن الذنب ذنبنا واللوم علينا لاننا نتكاسل فتسوءُ حالنا ونقاوم الشر بالشر فنزيد الفساد فساداً ذاهلين عن قول المسيح من اخذ بالسيف بالسيف يؤخذ . فاذا لم نعوّد انفسنا مقاومة الشر بالخير اي باللطف والمجاملة والاحسان والمحبة فاننا لا نتغلب على الشر في العالم وتزداد الانسانية فساداً على فساد . فاذا كنا نطلب اصلاح الهيئة الاجتماعية فلنعمل اولاً على اصلاح انفسنا بغرس المحبة والمسالمة والاعتدال وحب العمل في قلوبنا فان في ذلك اصلاح الهيئة الاجتماعية »

واما فلسفته في الفنون فمقتضاها ان كل فن وعلم وصناعة يجب ان تكون غايتها نبيلة وهي ترقية شان البشر والمساعدة على رفع راية السلام والراحة في العالم واذا خرجت العلوم والفنون عن دائرة هذا الغرض فانصرفت الى اختراع آلات الحرب والدمار واسباب القصف واللهو فانها تكون حقيرة وتصبح عبثاً في عبث

هذه خلاصة فلسفته التي اودعها كتبه وهي تنطبق كل الانطباق على ما نرويه هنا عن اخلاقه وارائه .

فانه لما شبت نار الحرب بين انكلترا والترانسفال سُئل رايه في هذه الحرب فاجاب ان كل حرب جائرة وانني كلما فتحت الجرائد الاخيرة التي تردني لاقرأ فيها اخبار الحرب تمنيت من صميم قلبي ان ارى فيها انتصار البوير وانكسار شوكة انكلترا العادية المتكبرة . فكان لهذا الكلام دوي شديد

ولكن لما سافر وفد البوير من اوربا الى اميركا ليستنجد بحكومة الولايات المتحدة بعثت احدى الشركات البرقية الى تولستوي لما عرفته من ميله الى البوير تطلب منه ان يبعث على يدها الى وفد البوير يوم وصوله الى اميركا تلغرافاً يتمنى له الفوز فيما قصده . فاجابها تولستوي بهذا الجواب الغريب : لا استطيع ان ادعو للبوير ان يفوز وفدهم في اميركا لان فوزهم متوقف على مداخلة الولايات المتحدة ومداخلتها تجر حرباً بينها و بين انكلترا فاذا دعوت للبوير ان يخلصوا كنت كمن يدعو بازالة حرب بحرب مثلها

ذلك ان الحرب اكره الامور الى تولستوي وهو يعتبرها جناية بشرية ايّاً كان سببها ولذلك لقبوه في اوروبا كلها رسول السلام وداعي البشر الى الاخاء العام وقد صدر في هذا الشهر كتاب فرنسوي موضوعه اخلاق تولستوي وفيه ان المسيو بول ديرولد الفرنسوي زعيم الحزب الوطني واكبر القائلين بوجوب محاربة المانيا لاسترداد الالزاس واللورين منها ساءه هو وحزبه دعوة تولستوي الى السلام العام على حين انهم يعتبرون ان فرنسا لم

تحالف روسيا الا لتثأر من المانيا وتسترد ولايتيها منها فقصد قديماً فيسلوفنا في مقامه في "كيسنايا بولوليانا" ليقنعه بان من حق فرنسا ان تحارب المانيا · فلما التقيا جرت بينهما محادثات طويلة كان يغضب الفيلسوف في اثنائها ويخرج بنزق ساخطاً لشدة تمسك مناظره برأيه وغضب مرة غضباً شديداً فقال له المسيو ديروليد ان اصغر الفلاحين الروس يرى آراء اصح من رأيك في الحرب والتحالف الثنائي · فضحك تولستوي وقال هلم نتنزه لنسمع راي فلاحينا نخرج ملاك السلام وملاك الحرب الى النزهة فما سارا خطوتين حتى وجدا في طريقهما فلاحاً روسياً قادماً فاستوقفاه واخذ ديروليد يشرح له مطالب فرنسا وحقها في محاربة المانيا ووجوب مساعدة روسيا لحليفتها فلما فرغ من كلامه سال تولستوي ما رايك ايها الفلاح فاجاب ذلك البسيط "رايي ان الفرنسو بين والروس يشتغلون وبعد الانتهاء من الشغل يذهبون معاً الى القهوة ليتناولوا قدحاً من العرق معاً ولا بأس ان يدعوا الالمانيين الى مجالستهم" فضحك تولستوي لانتصاره وذهب ديروليد ساخطاً وعاد في نفس ذلك المساء الى وطنه

وفي هذا الكتاب اقوال كثيرة عن اخلاق تولستوي وآرائه منها "ان تولستوي يضع في مقدمة المؤلفين الذين يحب مطالعة كتبهم سقراط وار بكتيت وبسكال وروسو وفيكتور هيغو وديكنس وقد اثر كتاب "الاعتراف" الذي كتبه روسو في نفسه تاثيراً شديداً حتى قال "ان روسو قد سحرني في صباي وقد كنت اعتبر هذا الفيلسوف الهاً فاحمل رسمه على صدري كما احمل رسماً مقدساً" وقد ألف باكورة تآليفه وهو في السابعة عشرة من عمره · وكانوا ذات يوم في حلقة من العلماء يتحادثون فصار احد الطلبة يعجب بالفيلسوف تاين فاجاب تولستوي ان تاين ذو عقل محدود · فانكر الطالب ذلك فاجاب تولستوي ساخطاً "قلتُ انه ذو عقل محدود لانه اراد ان يجعل المقام الاول للمادة في هذا العالم · افليس هذا جنوناً محضاً اليس بوذه والمسيح هما اللذان غيرا هيئة العالم وخلقا ملايين الناس خلقاً جديداً فماذا تصنع المادة من غير العقل الذي يخلق ويحيي ويؤثر حتى في الاجيال المستقبلة"

كتاب غريب وجوابه

واذا كانت كل الاقوال التي تقدمت لم تدل القارئ بعد على اخلاق الفيلسوف وارائه الدينية والفلسفية دلالة كافية فالكتابان التاليان يدلان على ذلك احسن دلالة

اما الكتاب الاول فقد كتبه الى تولستوي في السنة الماضية رجل يدعى "اندريا

باسيليبيفيتش لابسف » ولا حاجة بنا الى وصف هذا الرجل الغريب الاخلاق فان كتابه يدل عليه وهذا نصه

« باكو في ٦ اكتوبر سنة ١٨٩٩

« الى الحكيم العظيم المحترم لاون نيكولايفيتش تولستوي سلام باحترام كثير من اندريا « باسيليبيفيتش لابسف

« اريد ان اعترف لك باختصار . انني بدأت اومن منذ سنة ١٨٦٩ فقد قال المسيح من اراد ان يكون معي فليحمل صليبه وليترك نفسه ويتبعني . فهذا القول يدل على ان كل واحد يمكنه ان يكون كالمسيح. وقال ايضاً ليس العبد افضل من سيده يكفي العبد ان يكون كسيده . يعني ان كل رجل من تلامذة المسيح يجب ان يكون رجلاً كاملاً كما كان السيد

ورغبة في ان اكون انا كاملاً ايضاً قطعت كل علاقة لي في هذا العالم فتركت اسمي واعتقادي وعيلتي واصبحت مالك امري اقول للناس « لست منكم ولكنني انسان وحيد مفرد انا ملك نفسي »

« فمن اجل هذا قبضوا علي واخذوني الى القاضي ليسالني عن اعتقادي فلما وصلت اليه جلست فقال لي انزع قبعتك . فاجبته امام من؟ قال امام السلطة . فقلت ما هو مصدر السلطة فقال الله فقلت هل انت الله لانزع امامك قبعتي فاجاب كلا فقلت اذا لم تكن الله فلماذا تطلب مني ان انزع قبعتي

« فقال لي انهض واقفاً فسالته امام من ؟ فقال امام القانون . فاجبته انني لا اعرف هذا القانون فسالني ما هي مهنتك فقلت هل اعطيتني مهنة حتى تسالني عنها فقال ما هو اسمك فقلت ليس لي اسم قال بماذا تؤمن . قلت بماذا تريدون ان اؤمن فانني قلت لكم انني لست منكم فلم تصدقوني . فسالني اتؤمن بالله ؟ فقلت اي اله . فسالني كيف تسال اي اله فانه لا يوجد غير اله واحد . فقلت له اين هو . وهل تعرفه ارني اياه لاصدقك . فاجاب انه في السماء فقلت هل صعدت الى السماء ونظرته . فاجاب كلا . فقلت من ادراك اذاً انه في السماء . فالتفت القاضي اليَّ ساخطاً وقال اترك هذا البحث الان . فقلت له اترك انت هذا السؤال ايضاً

« ثم سألني ما هو وطنك . فقلت ليس لي وطن . فقال ولكنك تعترف بالقيصر . قلت اي قيصر فقال اسكندر الثاني . قلت القيصر هو القيصر وانا انا فلا يهمني امره كما لا

يهمه امري · فقال ولكنك ستدفع ضريبة النفوس (يعني الضريبة الموضوعة على كل نفس) فقلت هل انتم الذين اعطيتموني نفسي لادفع ضريبة عنها · فقال وستدفع الرسوم ايضاً · فقلت انني لا ادفع شيئاً · قال ولكن جميع الناس يدفعونها فقلت اذا كان جميع الناس يدفعون وجب ان لا يدفعوا لانه لا يعود يوجد من يقبض · فقال لي يوجد القيصر · فقلت : القيصر هو القيصر وانا انا فلا يهمني امره كما لا يهمه امري

« و بعد سجنهم اياي تسعة شهور حاكموني لدى محكمة فقال لي القاضي

« انزع قبعتك · فسألت لماذا قال لان المحكمة مجتمعة فقلت المحكمة محكمتكم وانا ملك نفسي · فقال يجب ان تنزعها · فسألته امام من ؟ فقال امام المحكمة · فقلت انني لا اعرف المحكمة ولذلك لا اكشف لها راسي احتراماً · فتقدم مني رجل ونزع القبعة عن راسي بالرغم عني فجلست حينئذٍ على الارض غير مبالٍ بهم

« فقال لي الرئيس · ايها المتهم انهض · قلت انا لست متهماً · فقال تفضل وانهض احتراماً للقانون · فقلت ان القانون لم يوضع من اجلي ولكن من اجل الاشقياء واذا كنتم انتم خاضعين للقانون فانكم لا تستحقون ان تكونوا قضاة لي

« فقال القاضي اتعترف بذنبك؟ فاجبته وانت تعترف بذنبك ؟ قال اي ذنب · فقلت وانا اي ذنب قال ذنبك انك عصيت المحكمة و رفضت نزع قبعتك · فقلت له حينئذ

« اذا كنت لم انزع قبعتي فذلك لانني حريص على صحتي · فانكم هنا تدخنون وتبصقون على الارض · فالبصاق يمتزج بالتراب ثم يجف و يتطاير في هواء الغرفة و يقع على الرؤوس · فاذا كان راسي مكشوفاً وصل الغبار اليه ثم دخل الى الدماغ واحدث فيه اضطراباً · ولذلك ترون عقولكم انتم الجالسون ههنا كلها مضطربة · لماذا تعذبونني · انني لم اؤذ قط احداً ولم اضر احداً · لم اسرق ولم اقتل ومع ذلك فانكم اودعتموني السجن مع القتلة واللصوص · اليس هذا دليلاً على ان عقولكم مضطربة

« فقرع الرئيس حينئذ الجرس ودخلوا للمذاكرة · ثم خرجوا واصدروا الحكم ونصه « برئت ساحة المتهم ولكن يجب ان يدخل الى مستشفى قزان لفحص قواه العقلية »

« فلما دخلت الى المستشفى المذكور جاءني طبيبه قائلاً · لقد كتبوا اليَّ انك لا تؤمن بالله فهل ذلك صحيح فقلت له واين الله · فقال في كل مكان · قلت لا تقل في كل مكان · فانه لو كان في كل مكان لكان ساكناً في الذين يقتلون والذين يضطهدون · فسالني اين هو اذن فاجبت انه ساكن في الضمير الصحيح والعقل السليم لان العقل والضمير

لا يشتركان في القتل والآثم . فقال الطبيب اسمع يالابسف انني لا اريد لك الا كل خير ولكنهم كتبوا لي انك فرد موءذٍ مضر من افراد الهيئة الاجتماعية . فقلت له اذا كنتُ موءذياً ومضراً فارسلني الى مكاني الحقيقي . فقال اين مكانك الحقيقي . قلت حيث لا يكون لكم ولشرائعكم من اثر . فقال لا اقدر على ذلك لاني لا اعرف في العالم مكاناً خالياً من الشرائع والسلطة . فاجبته " فهل الذنب ذنبي اذا كنتم قد جعلتم انفسكم على مثال الالهة فاستوليتم على الاراضي والشعوب لتتصرفوا فيها تصرفكم باملاككم الخصوصية ان الصانع يستبد بمصنوعاته فيكسرها و يلقيها دون ان يساله احد عنها لان ذلك من حقه فهل ان الشعوب ملك لكم حتى تصنعوا بها كذلك

" فقال الطبيب لا تنطق بهذا الكلام يالابسف فان الانسان اصبح اليوم حرًا وهو سيد نفسه . فقلت نعم هو سيد نفسه ولكن على الورق فقط وفي بطون الكتب اما في الحقيقة فهو ليس سيداً . واذا كان كل واحد سيداً لنفسه فلماذا تعذبونني . هل للسيد ان يعذب السيد . انكم فرقتم بيني و بين رفيقتي التي كنت اعيش معها بلا موجب لذلك انتم تفرقون بين الرجال ونسائهم ثم ترسلونهم الى الجندية للقتل والذبح وبذلك تنشرون فساد الاخلاق بين البشر لان الرجل والمرأة حينئذٍ يرتكبان الخطيئة وانتم السبب في ذلك. لماذا فرقتم بيني و بين امراتي وتجنتموني ههنا تطعمونني وتسقونني كانني خنزير يعلف ليسمن انا لست خنزيرًا ولا احب ان آكل خبز غيري في البطالة والكسل لانني قوي الجسم قادر على كسب خبزي دون ان اسفك الدم المسيحي كما تصنعون . ان الرجل الذي يأكل خبز غيره من غير بذل عرق جبينه يكون خبزه مغموساً بالدم فكانه كان قاتلاً . فانا لا اريد ان اكون قاتلاً . انا لا اريد ان آكل خبزًا دموياً . فلماذا لا تتركونني اعمل لآكل خبزي بعرق جبيني . لماذا تلزمونني بهذه الخطيئة

" فقال الطبيب اترك هذه التخرصات يالابسف . قلت ما هذا الكلام بتخرص ولكنه كلامُ ذي عقل سليم . ان الله لا يُكره الانسان على الخير ولا على الشر واما انتم فتكرهونني على كل شر . فقال على اي شيء اكرهناك . قلت " تُكرهونني على ان انزع قبعتي عن راسي واجثو امامكم لاعبدكم ولا يوجد الا ابليس الذي يطلب ان يعبدوه . انا لا اريد ان اجثو امام احد . ولم يطلب احد من خدمة الله ان يجثو الناس امامهم بل قد حرموا ذلك. لان العبادة حرام الا لله ومع ذلك فعبادة الله تكون بالروح لا بالجسد لان الله روح هو . من اجل هذا ارى من التجديف والكفر بنعمة الله ان يجثو مخلوق امام مخلوق . وبما

انني كرهت ان اجثو امام الناس قبضوا عليّ وسجنوني . فجاء سجني طبقاً لقول يوحنا سيأتي زمن يضعكم فيه ابليس في السجن ليجربكم فابليس هو الذي اودعني السجن

" ثم اقمت في هذا المستشفى ستة اسابيع و بعد ذلك ارسلوني لاقيم في قرية كوفانتزا التابعة لاقليم ارزاماس من ولاية نيجني نوفوكورود

" فاستدعيت في نيجني للمحاكمة مرة ثانية فلم اجب المحكمة بشيء فابقتني في السجن سنة ثم حكمت عليّ بالحبس ثلاثة شهور

" وفي سنة ١٨٨١ قتل القيصر اسكندر الثاني فرفضت ان اقسم يمين الطاعة لخلفه اسكندر الثالث لانني لا اعترف بشرائع البشر ونظامهم فقالوا لي . اتريد اذاً ان تدخل السجن يالابسف . قلت ولماذا قالوا لانك لا تقسم يمين الطاعة للقيصر . فاجبتهم بما اجبتهم به قبلاً : القيصر هو القيصر وانا فلا يعنيني امره كما انه لا يعنيه امري

" وبعد ذلك جئت باكو ثم انتقلت منها الى البزابتبول والقرص فاقمت في القوقاز عشر سنوات . ثم سافرت الى فلاديفوستوك ومنها رجعت في ٢٨ الماضي الى باكو لارى بعض الاصدقاء وافسر لهم آيات سالوني تفسيرها

" هذا ما انقله اليك ايها المحترم لاون نيكولايفيتش وهو يتضمن كل ايماني فاذا كان ينقصني شيء فاخبرني عنه في رسالة منك " قد قرأت كتابك " سيروا في النور ما دام النور موجوداً " فوجدته منطبقاً كل الانطباق على افكاري ولذلك كتبت لك هذا " انا في هذا التاريخ في الحياة والصحة . فارجو مثلهما لك

اندريا باسيلييفتش لابسف

الذي لا يعرفك وهو في الخمسين من عمره

***

﴿ جواب الفيلسوف تولستوي ﴾ فاجاب الفيلسوف تولستوي عن هذا الكتاب بالكتاب التالي

" ايها الاخ المحترم اندريا فاسيلييفيتش

" تناولت كتابك وسررت بانني عرفتك وعرفت ايمانك

" والآن اخبرك ان نفس الاضطهاد الذي اصابك يدل على انك سائر في طرق المسيح . وكل رجل يسير في هذه الطرق لا بد ان يصدم في طريقه ملك هذا العالم . ان الانسان يجب ان لا يخفي النور تحت المكيال بل ان يضعه في مكان ينير الناس وهذا امر لا

يريده ملك هذا العالم لان النور يُظهر ظلمه واعماله . فلذلك يجب على الراغبين في مساعدة التقدم وانشاء مملكة الله في الارض ان يكشفوا الستار عن اعماله مهما اصابهم من الاضطهاد وبناءً عليه فاني اسال الله ان يعينك

« انا من رأيك في كل ما ذكرته في كتابك واوافق على اقوالك كل الموافقة غير انني اريد ان اقدم لك نصيحة وهي انك حين كشف الستار عن كذب الناس لا تنسَ المحبة الواجبة لاخيك التائه الذي تكشف ذنبه واعتمد بالاكثر على العقل والمحبة لا على آيات الكتاب . لان الكتاب مكتوب بيد الانسان فليس هو بمعصوم وكل واحد يفسره كما يشاء اما العقل السليم فانه يردنا راساً من الله وهو واحد لا يتغير في التتر كما في الصينيين وفي سائر الشعوب وليس في استطاعتنا انكار شعوره وتكذيب تعليمه اذ لا ينكره ويكذبه الا الذين يرفضون معرفة الحقيقة

« واني اضع لك في كتابي هذا مقالات صغيرة عن الايمان الذي اؤمن به منها مقالتان من قلمي احداها عنوانها « وصايا المسيح » والثانية « كيف يجب ان نقرأ الانجيل » واما المقالات الاخرى فليست من قلمي ولكني موافق على ما فيها اخوك الذي يحبك

لاون تولستوي

انتهى جواب الفيلسوف وهو غريب كالكتاب الذي تقدمه ولكن الاغرب ان تولستوي استعار خلاصة اقوال مكاتبه لابسف في روايته الشهيرة « البعث » او الاحياء فجعله فيها شيخاً يصادفه سائق على ضفة احد الانهار واجراس الكنائس تُقرع للصلاة دون ان يكشف الشيخ رأسه عند سماعها فيدور بينه وبين السائق الحديث التالي

« انت ايها الشيخ لماذا لا تصلي . فنظر الرجل شزراً الى السائق نكلودوف واجاب . اصلي ؟ ولمن تريد ان اصلي . فقال السائق ما هذا السؤال لعلك لا تؤمن بالله . فقال الشيخ اتؤمن به انت وهل تعلم اين هو . فصاح السائق يالك من بليد كيف تسأل اين يقيم الله وكل الناس تعلم انه مقيم في السماء . فقال الشيخ بهدوء لعلك صعدت الى السماء ونظرته فيها . فاجاب السائق كلا لم اصعد الى السماء ولكن جميع الناس يقولون بوجوب الصلاة . فاجاب السائق بصوت اجش وهو يقطب حاجبيه ان الله لم يره احد هكذا قال ابنه الوحيد المقيم في احشائه . فقال السائق حينئذ . يظهر من هذا انك لست مسيحياً . فهل انت وثني . فحول الشيخ وجهه عنه وبصق على الارض دلالة على احتقاره

« وكان سائق مركبة نقل واقفاً هناك بازاء خيله يسمع حديثهما فسال الشيخ متلطفاً .

. ما هو دينك اذًا ايها الاب . فالتفت الشيخ اليه ووجه نحوه نظرة غضب ثم قال . انا لا ادين بدين ولا اومن في احد سواي . فاستغرب السائق الاول هذا الجواب وساله . كيف يؤمن الانسان بنفسه وما هو هذا الايمان . فاجاب الشيخ . ان هذه الطريقة لهي الطريقة الوحيدة التي تصون الانسان من الخطاء . فساله السائق هل انت تؤمن هذا الايمان منذ عهد بعيد . فاجاب الشيخ بهدوء نعم منذ عهد بعيد لانه قد انقضى عليَّ ٢٣ سنة وهم يضطهدونني . فساله ولماذا يضطهدونك . فاجاب الشيخ :

" يضطهدونني كما اضطهدوا المسيح . فانهم يلقون القبض عليَّ ثم ياخذونني الى القضاة والكهنة والكتبة والفريسيين ويضعونني في اماكن المجانين ولكنهم لا يقدرون عليَّ لانني حر النفس والفكر . يسالونني ما اسمك لانهم يظنون ان لي اسمًا اما انا فليس لي اسم لانني تركت كل شيء في هذا العالم . ليس لي اسم ولا مسكن ولا وطن وليس لي شيء سوى نفسي يسالوننى ما اسمك ؟ اسمي " انسان " . وكم هو عمرك ؟ فاجيبهم انني لا احصي السنين التي مرت علي ومع ذلك فليس لي عمر محدود لان الروح الذي يسكن فيَّ كان وسيكون فيَّ دائمًا . ومن هو ابوك ومن هي امك . كلا ثم كلا ليس لي اب ولا ام غير الله والارض . الله هو ابي والارض هي امي "

***

﴿ صورة الحرم الكنائسي ﴾ فالظاهر ان مبادئ الفيلسوف تولستوي لم ترق المجمع الروسي الاعلى المقدس فكتب سيادة رئيسه يوانيكيوس اسقف كييل الى جميع اساقفة روسيا في ٣١ مارس الماضي كتابًا يبلغهم فيه ان المجمع المقدس قد حرم الفيلسوف تولستوي حقوقه الدينية او بالاحرى الكنائسية وهذه خلاصة صورة الكتاب المذكور الذي هو كتاب الحرمان

" ان تولستوي اظهر انه عدو لدود للكنيسة في كل الكتب التي بسط فيها مبادئه الدينية فانه لا يعترف بوجود اله واحد مثلث الاقانيم وينكر الوهية الاقنوم الثاني ابن الله ويعتبره انسانًا كالبشر وفضلاً عن ذلك فقد جدف على سر التجسد وحرف نصوص الانجيل وانكر الكنيسة المقدسة اذ اعتبرها من وضع البشر ثم انه انكر السيادة الاكايريكية والاسرار المقدسة والطقوس فبناء عليه وبما ان فرزه فرزًا علنيًا عن الكنيسة الارثوذكية قد يحدث تاثيرًا في الافكار ويجرح عواطف المؤمنين ويثير سخطًا في النفوس فقد اكتفى المجمع المقدس الان بان يقرر عدم اقامة صلاة الجنازة والصلاة عن نفس الكونت لاون

تولستوي بعد موته اذا كان لا يسترد في حياته الاقوال التي قالها وينكرها ولذلك ابلغت سيادتكم هذا القرار"

***

﴿الخلاصة﴾ هذا ما رأينا نقله عن الفيلسوف تولستوي · ولا بد ان القارىء ينتظر ان نبدي رأياً في ما تقدم فنقول ان رأينا هو الاسف من قيام النزاع بين الفلسفة واللاهوت لان الفلاسفة ورجال الدين هم قواد النفوس والعقول في العالم فاذا تنازعوا واختلفوا فلا يكون الضرر واقعاً الا على هذه النفوس والعقول التي تتيه لاختلافهم في مهامه الحيرة فلا تدري اي فريق تتبع ثم نرى بعد الاسف ان كل المسائل التي تكون من هذا القبيل انما يكون فيهـا الذنب للفريقين معاً فتولستوي مخطىء لانه نقض بغلوه قاعدته وهي « لا نقاوم القوة بالقوة » وذكر في كتبه اقوالاً توقع الارتياب والشك في نفوس الشعب فتزعزع في صدورهم اثمن ما لديهم وهو ايمانهم · ان الشعب الذي يعاني الشقاء في اسفل الهيئة الاجتماعية · الشعب الذي يتعذب في تحصيل قوته اليومي · الشعب الذي يحمل اليوم جميع احمال الانسانية واثقالها ليس له من تعزية ولا سلوى في شقائه وعذابه واحماله في هذا الوجود غير الايمان ورجاء حياة ثانية احسن من هذه الحياة المملوءة شوكاً وحسكاً · فليس يحسن والحالة هذه زعزعة هذا الايمان والامل بمبادىء قلما يفهمها ولا يفيده ان تُعرض عليه كل الاراء والافكار صحيحها وفاسدها الا متى استنار و بلغ مبلغ الخاصة من المعرفة والحكمة فاصبح قادراً على تمييز غثها من سمينها

والذين حرموا تولستوي مخطئون ايضاً لان الاضطهاد لم يزد الفلاسفة والعلماء والكتاب في كل زمان ومكان الا نشاطاً في دعوتهم واصراراً على مبادئهم · والدليل على ذلك انه ما بلغ تولستوي خبر حرمانه حتى اخذ ينشر على ما يقال كتاباً يصف فيه معيشة الرهبان في روسيا وصفاً ينتقم به لنفسه عن اضطهادهم اياه · وما برح الضغط يولد الضغط دائماً وفضلاً عن ذلك فان حرية الفكر حق من حقوق الانسان الطبيعية وحق حرية الفكر يتناول حق حرية القول في كل فلسفة صحيحة واذا كانت هاتان الحريتان حقاً طبيعياً للانسان فمن العبث ان يحاول البشر حرمانه منها

فياما احلاكِ ايتها الحرية حرية الفكر والقول اذا كنتِ ضمن دائرة القانون اي مقرونة باخيكِ التساهل والاعتدال واختك المعرفة والحكمة وويل للبشر ما اشقاهم في ازمان لا يفهمون فيها معنى هذه الفضائل السامية

باب المقالات

عبادة الانسان النبات

داروين · عبادة النبات في افريقيا · تاثير الاسلام فيها · قول عالم عن بعض بسطاء القاهرة · مقاومة الديانة المسيحية لها كالاسلامية · اسباب عبادة النبات الاولى · عبادة الدبق والسنديان · عبادة التينة الهندية التي يوجد مثالها في حديقة الازبكية في القاهرة · القضبان السحرية · عبادة النبات بسبب عبادة النور والنار · عبادة الاشجار لنفعها · جنات آسيا العذراء الاولى وجنة عدن · الشجرة المدافعة عن نفسها والشجرة التي تخلق الحيوان · شجرة الخلد المصرية المقدسة · اشتقاق الانسان من النبات

كان العالم الطبيعي الشهير داروين يسيح في سنة ١٨٣٣ في افريقيا الجنوبية · ففي ١١ اغسطس من هذه السنة كان قاصداً بونس ايرس فنظر في سهل فسيح هنالك منظراً عجيباً وصفه بما يلي · قال · « بعد انقضاء بضع ساعات على مروري بالبئر الاولى لمحت شجيرة شهيرة في ذلك السهل الفسيح · وكان الوقت شتاء فدنوت من الشجرة فلم اجد فيها ورقاً ولكني وجدت مكان الورق خيوطاً لا يحصى لها عدد معلقة بها وقد رُبطت بهذه الخيوط هدايا كثيرة من السكائر والخبز واللحم والانسجة وما اشبهها · وهذه الهدايا يقدمها اليها الاغنياء اما الفقراء الذين لا يستطيعون ان يقدموا مثلها فيكتفون بان يسحبوا من ملابسهم خيطاً ويربطوه بها · واما الممتازون في الغنى فانهم يصبون في ثقوبها المشروبات الروحية المصنوعة من الحبوب او من نبات عندهم يدعى « ماته » ثم يقفون تحت اغصانها ويدخنون مرسلين دخانهم فوق رؤوسهم لاعتقادهم ان تلك الشجرة التي هي الههم ترتاح الى ذلك · وحول هذه الشجرة شيء كثير من عظام الخيل التي كانوا يقدمونها ضحايا لها » اه

وقد سأل داروين بعض الهنود هناك عن اسم هذه الشجرة فقالوا له انها الههم « واليشو » ولكن داروين يعلم ان الشعوب مهما انحطت اخلاقها الدينية فان الالوهية تبقى لديها في مقام سام · فلذلك ولما كان يعلمه من ان الاله « واليشو » انما يقيم في بطن الارض ويتمثل احياناً في النباتات قال ان الهنود كانوا يعتبرون تلك الشجرة بمثابة هيكل لواليشو لا واليشو نفسه

غير انه مهما يكن من امر هذا القول فان عبادة هذه الشجرة وسواها من النباتات التي روى المؤرخون ان الشعوب قد عبدوها لا تخرج عن كونها مسالة علمية في غاية الاهمية يجب النظر فيها لمعرفة الاسباب التي دعت اليها . وتوصلاً لذلك يجب النظر في تاريخ بعض النباتات التي عبدها الاقدمون

مقاومة الاسلام لها

على ان هذه العبادة كانت عامة في الدنيا كلها . فان قبائل الاشانتي في جهات النيجر كانت تذبح منذ بضع سنوات الذبائح لاشجار مقدسة عندها تدعى « الميموزا المقدسة » وهي الشجرة المستحيية ويعلقون الهدايا باغصانها . وكان سكان الداهومي في القرن الماضي يضعون المرضى في ظل اشجار عندهم ليشفوا من امراضهم . وروى مونغو بارك انه وجد في احدى سياحاته شجرة قال له الدليل عنها ان الانسان اذا مرَّ من امامها دون ان يلقي اليها شيئاً فانها تغضب عليه . وقد نقل ريشارسون انه كان يوجد في مملكة البورنو غربي بحيرة تشاد اشجار يُعدم الاهالي تحتها المجرمين وكانوا يعبدونها قبل دخولهم في الديانة الاسلامية . وكان عدد هذه الاشجار خمساً او ستاً . والسلطان ملك البلاد كان يخرج اليها مرة في السنة للاحتفال باكرامها وعبادتها وذبح البقر والغنم ضحايا لها . فلما دخل اهلها في الاسلام بطلت هذه الخرافات كلها

وروى العالم قسطنطين الذي نعتمد عليه في كتابة هذه المقالة انه لا يزال يوجد في القطر المصري اثر لعبادة النبات . قال « منذ بضع سنوات كان الانسان يستطيع ان يشاهد في ضواحي القاهرة شجرة كبيرة يعتبرها اهالي القاهرة (كذا) مقدسة ويسمونها « الحكيم الكبير » لانها تشفي من الامراض وهم يقصدونها افواجاً افواجاً للاستشفاء من الحمى وغيرها من الامراض الالتهابية . وطريقة استشفائهم انهم يجثون لدى جذورها ويتلون الصلوات . وهذه الشجرة قديمة العهد ضخمة الجذع والاغصان وعلى فروعها امتعة كثيرة يلقيها الناس اليها على سبيل الهدية . ومن فرط احترامهم لها يمنعون الناس من تصويرها ولذلك لم يقدر المصور على رسم صورتها التي نشرناها الا بالحيلة »

انتهى قول الراوي وكان بودنا ان لا يتورط المسيو قسطنطين في هذا القول فانه اذا كان بعض البسطاء في بلد يعتقدون بان الزيارة لاحدى الاشجار والصلاة عندها مما يشفي المريض من مرضه فليس يصح ان يُطلق ذلك على جميع اهالي البلد

وكما وجدنا عبادة النبات في افريقيا فاننا نجدها في آسيا . فان السائح برلوارو في سنة

١٤٧١ والسائح بطرس دل فال في سنة ١٦٢٢ قد وجدا في بلاد الفرس اشجاراً كثيرة عليها الانسجة المختلفة . ويقال ان هذه العادة لا تزال موجودة هناك الى هذه الايام . على ان العرب كانوا يقطعون كثيراً من هذه الاشجار ابطالاً لبدعها وربما قطعوا معها رؤوس بعض المعارضين في قطعها

مقاومة المسيحية لها

وقد قاومت الديانة المسيحية هذه البدع كما قاومتها الاسلامية . فقد كان في القرن الرابع للميلاد المسيحي قرب اوكسر على مسافة ١٧٥ كيلومترًا من باريز شجرة كانوا يعلقون بها الاسلاب التي يغنمونها من العدو في ساحات القتال والاسلحة المختلفة التي كانوا يزينون منازلهم بها . وكان الشعب يكرمها الى حد اعتبر عنده قطعها فوزًا للدين المسيحي الذي كان يومئذ يضطهد انصاره . وكان اهالي الجهات الجنوبية في فرنسا يعبدون المغائر والاشجار في عهد القديس اماندوس وكان من الفضائل المسيحية يومئذ تخريب هذه المغائر وتقطيع هذه الاشجار وقد قرر مجامع ارل وتور ونتت قراراً تحرم فيه اكرام الاشجار والينابيع والحجارة وقس على ذلك في الهند وبلاد اليونان والاقطار الاميركية مما يصح ان يقال فيه مع العالم لانج « ان الانسان قد عبد النبات منذ ازمنة المصريين الاولى الى ازمنة المتوحشين في هذا الزمان »

فما أصل هذه العبادات كلها . وهل ان الانسان عبد النبات اتفاقًا ام وُجدت اسباب حملته على هذه العبادة . وما هي هذه الاسباب . ان البحث في هذا الموضوع الطبيعي الجليل في غاية الاهمية لما فيه من الفائدة واللذة

اما الاتفاق فليس له وجود في الطبيعة حقيقةً بل لكل معلول علة ولكل نتيجة مقدمة ولذلك ننظر في الاسباب والمقدمات التي حملت الانسان على عبادة النبات

اصل عبادة الدبق والسنديان

فننظر اولاً في نباتات الدبق واشجار السنديان التي كان يعبدها سكان غاليا في العصور المتقدمة . فقد قال المؤرخ بلين ان كهنة الغاليين كانوا يحتفلون اعظم احتفال بقطف اثمار الدبق ويقدسونها ويعزون اليها مزايا دينية كثيرة . وهم يقطفونها عادة بواسطة سكين من الذهب ومن المحرم عليهم قطفها بآلة حديدية لئلا ينجسها الحديد . وهذا الامر الاخير يدل على ان عبادة نبات الدبق كانت قديمة جداً اي انها سبقت العصر الحديدي حتى حُرم الحديد في قطفها . ولكن ما اصل هذه العبادة

اصلها ان هذا النبات طفيلي يعيش بلا جذور على الاشجار التي يعلق بها . وقد كان

يعلق في بلاد غاليا باشجار السنديان فيرم الانسان الاول فيجد على هذه الشجرة نباتاً مستقلاً عنها وهو يعيش عليها فيتساءل من اين اتى هذا النبات المستقل. ثم انه ياخذ بمراقبة مصدر هذا النبات فيجد ان عصفوراً ياتي ببذور منه ويلقيها على اغصان بعض الاشجار فتنبت عليها وتنمو. ولايخفى ان الاقدمين كانوا يعزون الى المشيئة الالهية كل ما يقع تحت حواسهم من الاعمال العجيبة التي يعملها الحيوان والنبات فاخذوا يعتقدون منذ ذلك الحين بان ذلك العصفور الذي ياتي ببزرة الدبق الى تلك الشجرة مرسل من الالهة وتلك الشجرة مختارة منها فهي مقدسة. وبناء عليه عبد الغاليون القدماء شجرة الدبق اولاً ثم السنديانة التي تحملها. وقد جاء في الامثال الرومانية قولهم " ان العصفور ياتي هو نفسه بالدبق الذي يؤخذ به "

هذا اصل عبادة الدبق والسنديان في غاليا اي ان استغراب الانسان الاول النبات الحلمي الذي يقع على السنديانة باختيار طائر غريب مرسل هو الذي نبه العقل البشري الى تقديس ذلك النبات ثم انتقل التقديس من النبات نفسه الى الشجرة التي ينمو عليها. هذا هو الاصل الاول

اصل عبادة التين الهندي

والاصل الثاني نجده في عبادة شجرة مقدسة شهيرة في الهند معروفة " بشجرة التين الهندي المقدس " او تين الهياكل. وقد كانت عبادة هذه التينة من اهم العبادات الاسيوية. اما صفتها فهي شجرة ضخمة تنتشر اوراقها وفروعها انتشاراً بعيداً حتى انها قد تظلل لسعة انتشارها مئات من الناس. ولكن ليست هذه مزيتها الكبرى. وانما مزيتها الكبرى بروز اغصان من وسطها وتدليها الى الارض على شكل الجذور ثم غوصها في الارض كما تغوص الجذور وقيامها مقام هذه من حيث امتصاص الغذاء. وقد تبلغ هذه الجذور البارزة مئات كما تشاهد ذلك في اشجار من هذه الفصيلة موجودة في حديقة الازبكية في القاهرة

وقد ورد لهذه الشجرة ذكر في الكتب الهندية المقدسة فانهم يسمونها شجرة الحكمة التي جذعها فوق واغصانها تحت تستند اليها الارض ومن عليها. وقد جاء في التقاليد البوذية ان ولادة بوذه كانت بمثابة بروز جذر عظيم في وسط شجرة العالم. وروي ايضاً عن امه مايا انها لما نُقلت من فراشها لتلده نُقلت الى احدى قمم جبال حملايا ووُضعت تحت شجرة منتشرة الاغصان والاوراق فكانت اذا مدت يدها لتقطف ثمر الشجرة تدلت اليها اغصانها

من نفسها · ولا يخفى ما في ذلك من الرمز الى التينة الهندية

فهذه الامور اذا اضفت اليها مزية بروز الجذور من فوق الى تحت وهي المزية التي تميز هذه الشجرة عن سائر العالم النباتي وجدت انها كافية لاكرام الهنود اياها والاهتمام بها· وفضلاً عن ذلك فقد كان لهذه الشجرة مزية اخرى على باقي الاشجار مما جعل الانسان الاول يزداد بها اهتماماً· وهي ان بزر هذه التينة كانت كثيرًا ما تنبت بازاء شجرة فتلتف عليها وتستند اليها· ولكنها لا تشب وتقوى حتى تاخذ جذورها الظاهرة التي اشرنا اليها بالتدلّي الى الارض فتضخم التينة وتنمو وتزداد التفافًا على تلك الشجرة حتى تخنقها وتقتلها · ولذلك سُميت خانقة الاشجار ايضاً فكانت ذات مزية غريبة

وكما ان الريح القت بزرة التين بازاء شجرة فنبتت وخنقتها بعد بلوغها اشدها كذلك قد يحتمل ان يحمل العصفور تلك البزرة الى هياكل الهنود فتنبت على سطوحها او في جدرانها فيحسب الهنود ان الالهة قد انبتتها هنالك · وقد وُجدت نقوش كثيرة في الهياكل البوذية في الهند تمثل نمو شجرة التين المذكورة في جدران الهياكل وبروزها من نوافذها

هذا هو اصل تقديس الهنود شجرة التين الهندي · وزد على ذلك ان ورق هذه الشجرة كثيف ثخين يقي المستظل بها من هبوب الارياح وانهار المطر الشديد في تلك البلاد فضلاً عن اعتقادهم بان الصاعقة لا تسقط عليها لان الآلهة تحميها · ولعل سبب ذلك اذا صح وجود كهربائية دافعة فيها

القضبان السحرية

ثم انه ورد في التقاليد الاسوجية ذكر لقضبان سحرية يكشف بها الانسان المخبئات · وطريقة الحصول على هذه القضبان الثمينة مذكورة في اوراق وجدت في القرن السابع عشر ومنها هذه العبارة « متى لقيت على جدار او على صخرة او في جوف شجرة نبتة « السوبريه » نابتة من بزرة تكون قد سقطت من منقار عصفور فاذهب اليها في مساء اليوم الثالث من عيد نوتردام واقطف قضيباً منها فيكون له مزية اكتشاف المخبئات ومعرفة الاراضي التي فيها ينابيع » فانت ترى من ذلك ان هذه الشجرة التي لها مزية الاكتشاف انما هي من النباتات الحاملية او النباتات التي تبرز من جذعها جذور على طريقة التينة الهندية

تولد عبادة الاشجار من عبادة النار

ويمكن الاستدلال على تقديس الاشجار بمسالة النار · فان الاقدمين كانوا يحترمون

النار و يقدسون انواعها . فقد ورد عن الرومانيين انهم كانوا يضعون النور المقدس في الهيا كل ويقيمون عليه العذارى حارسات و يسمونهن الفستال . وورد عن اهالي مكسيكا قبل اكتشاف الاسبانيين بلادهم انهم كانوا يقيمون في كل سنة حفلة عظيمة على جبل فيه اشجار كثيرة من « اليوكساستين » فياتي كاهنهم باضخم رجل من اسرى الحرب الذين لديهم ويلقيه تحت الشجرة ثم يضع على صدره شيئاً منقوباً و ياتي بغصن شجرة ثم ياخذ بحكه في ذلك الثقب حكاً عنيفاً شديداً متتابعاً حتى تظهر النار و يلتهب العود بشدة الاحتكاك فيشق حينئذٍ صدر الاسير و يستخرج قلبه ليكون هدية للنار المقدسة الجديدة . ويكون الشعب مجتمعاً في سفح الجبل فلما تظهر له النار الجديدة يتعالى هتافه وصراخه لانه يتخذها في كل عام علامة لعدم انطفاء الحياة في هذا العالم

وقد ورد في كتب الفيدا الهندية ان احترام النار امر مقدس وله عند البراهمة حفلة عظيمة ولا سيما النار المقدسة التي يضرمونها باحتكاك غصنين يؤخذان من شجرة معلومة . ويقول الفيدا " ضع رباطاً في احد الغصنين كما يوضع اللجام في رقبة الجواد . هذا هو الذي يعيد الحياة . ثم جئ بسيدة النسل وحك الغصنين لتوليد " انيي » وهي النار . ان انيي كامن في الغصن كما يكمن الجنين في جوف امه »

وقد عثرنا على تفسير بديع للذبائح التي كان يذبحها الهنود وغيرهم من الاقدمين و يستخرجون احشاءها . فانهم كانوا يرمزون بالحيوانات المذبوحة الى مبدأ الحياة العظيم . فيقولون . ان غيوم السماء هي البقر التي في احشائها النار . ومتى اضطرمت النار وانفجرت في الغيوم بشكل صاعقة اتخذت شكل الماء ثم نزل الماء مطراً الى الارض فتحول الى عصير النبات ثم متى جف العصير و يبس النبات بقيت النار فيه وهي موجودة في كل حي لانها مبدأ الحياة . ومن اغرب الغرائب ان يكون العلم الحديث قد توصل الى شبه هذه النتيجة فانه يقول ان كل جرثومة حية تفرز الحرارة ولا تبرد الا متى عدمت الحياة

فالنتيجة التي تظهر من كل ما تقدم عن تقديس النار بسيطة وهي انه اذا كانت النار مقدسة فالاشياء التي تُتخذ لا ضرامها يجب ان تكون مقدسة . وهكذا قُدست الاشجار . والغريب ان النار المقدسة التي مرَّ ذكرها عند المكسيكيين والهنود انما كانت تُستخرج باغصان من النباتات الحلمية والاشجار التي يبرز من جذعها جذور الى الارض على طريقة التينة الهندية وهذا مما يزيد الاقوال السابقة ثبوتاً

عبادة الاشجار لمنفعتها

وفي استطاعتنا ان نضع في جملة اسباب تقديس الاشجار انتفاع الانسان بها · فان من اثمار بعض الاشجار ما يُعصر منه شراب طيب مسكر كشراب « الصومه » الهندي الذي يقدسه الهنود · ثم ان الانسان الاول كان يقتات من اثمار الشجر فقط فكان يجب عليه بحكم الطبع ان يكرم مادة رزقه · ومعلوم ان من الاشجار ما هو مثمر كثير الاقبال وما هو عاقر لا يثمر او قلما يثمر · فبديهي ان الانسان الاول قد انتبه الى ذلك وأكرم المثمرة واهمل العاقرة · وانما يصح هذا القول بالخصوص على اشجار آسيا التي كانت جبالها وأوديتها تغص بها في الزمن القديم وكلها مثمرة تكفي البشر · وقد اثبت الباحثون ان في اذهان البشر في كل البلاد المتوحشة والمتمدنة ذكرى وطن قديم فيه خضرة دائمة وجنات لا يجف لها ماء ولا يفنى لها ثمر فاستنتجوا من ذلك ان الانسان انما يذكر بذلك جنات اسيا التي كان يعيش فيها في بدء امره ومنها هاجر بعد ذلك الى البلاد القاصية · وبعضهم يسمي تلك الجنات عدناً

الشجرة المدافعة والتي تخلق الحيوان

ومن الاشجار المقدسة شجرة تعرف باسم « سكروبيا » كان لها شان عظيم في اميركا الجنوبية · وليس ذلك فقط لان اهالي تلك البلاد كانوا يستخرجون النار منها بحك عود في ثقب يكون في جذعها بل لانها كانت ذات مزية اخرى عظيمة

ذلك ان النمل كما هو معلوم يكون خطراً شديداً على النبات في الاقاليم الحارة لهجومه عليه جيوشاً جيوشاً وقطعه اوراقه مما يوقف نموه وينتهي بايباسه · وهكذا كان شان النمل في اميركا الجنوبية مع اشجارها الا مع الشجرة « سكروبيا » التي تقدم ذكرها · فقد كانت هذه الشجرة وطناً دائماً لنوع من الحشرات يشبه النمل ولكنه عدو لدود له · فاذا صعد النمل الى « السكروبيا » ليؤذيها هاجمته الحشرات الصغيرة التي فيها وحدث بين الفريقين قتال ينتهي دائماً بانغلاب النمل وارتداده · فكأن تلك الحشرات حراس للشجرة

ثم ان الغريب في امر هذه الشجرة سوى ما ذُكر انها تجازي هذه الحشرات عن دفاعها عنها احسن جزاء · فانه يتولد على اطراف غصونها العليا حويونات او هنات نباتية صغيرة تتخذها تلك الحشرات طعاماً لها · فكأن الشجرة تهيئ لها الطعام جزاء عن دفاعها عنها · وقد اعجب علماء النبات بهذا الاتفاق بين الشجرة والحشرات

ومعلوم ان الانسان الطبيعي الاول كان شديد الملاحظة لما حوله اذ لم يكن لديه شيء يشغله عنه كما لديه الآن في الاجتماع فلا بد ان يكون قد انتبه الى هذا الاتفاق . ولا بد انه يكون حين انتباهه اليه قد حكم بان الشجرة تخلق من تلقاء نفسها هذه الحشرات للدفاع عنها . فهي اذاً مباركة اذ لو لم تكن كذلك لما كانت لها هذه المزية العجيبة . وهكذا قدسها وعبدها

ثم انه يوجد امثلة اخرى على الاشجار التي كان يعتقد الاقدمون انها تخلق حيوانات . فان السائح نورنفور شاهد في سياحته في الشرق في القرن الثالث عشر طريقة كان يتخذها اليونان لزيادة نماء ثمار التين عندهم . وذلك انه كان يوجد لديهم نوعان من التين التين الجيد والتين الرديء البرّي . فكانوا يقطفون التين الرديء في شهري يونيو ولوليو ثم ير بطون ثماره بخيوط و يعلقونها في التينة الجيدة فتعطي ثماراً كثيرة و ربما تجاوز حاصل التينة ٢٨٠ ليبره على حين انهم اذا لم يضعوا التين الرديء عليها مربوطاً بالخيط فان التينة لا تاتي بربع هذه الكمية

فما سبب ذلك . سببه ان ثمار التين الرديء تحمل الى التينة الجيدة لقاحاً لتلقيح ثمارها ومن غير هذا اللقاح لا ينضج للتين ثمر . وقد كان هذا التلقيح يتم في العصور الماضية بواسطة الحشرات التي كانت تنتقل من الثمار الرديئة الى الجيدة فتلقحها . فالظاهر ان متوحشي ذلك الزمان قد راقبوا ذلك وشاهدوا ان الحشرات تخرج من جوف الثمرة فاستنتجوا منها انها تخلقها فاكرموا التينة وعبدوها

شجرة الخلد المصرية

و يوجد في تاريخ المصريين مثال مهم على اشتقاق الحيوان من النبات . فانهم قد وجدوا في كتاب الاموات الذي يعتبرونه دليل النفوس التائهة بعد الموت قولاً غريباً يؤيد ذلك . وهذا نصه « ان الميت يحمل عصاه في يده و يذهب في الافاق مفتشاً عن ضالته . ولكنه لا يلبث ان يصل الى طرف الدنيا الحقيقية . فيجد نفسه تجاه جميزة ممتلئة من اثمار تين الجميز وعليها امرأة نابتة من جذعها وفي يدها اناء يتضمن ماء الحياة . فاذا رنض ان يأخذ منها عجز عن اتمام سيره لان هذه الشجرة شجرة الخلد » . وهذه المرأة هي الالهة « نوت » الهة الخلد التي تحمل في يدها كوز ماء الحياة فالذي يشرب منه يحيي والذي لا يشرب يموت (انظر الرسم التالي)



شجرة الخلد المصرية في نهاية الدنيا نابتة منها الاهة الخلد التي بيدها كوز ماء الحياة تصب منه للاموات حين وصولهم اليها فالذي يشرب يحيى بعد الموت والذي لا يشرب يموت . وبازائها شجرة مزينة براس بشري وقد وجد رسمها في الهند مع كثير من الاشجار على هذا المثال .

وقد بحث المسيو ماسبرو في سبب عبادة المصريين القدماء لشجرة الجميز وتقديسهم اياها فقال انهم في بدء الاجتماع كانوا يستغربون انفراد شجرة من اشجار الجميز في سهل فسيح دون ان يكون لها رفيقة في الحياة فيكرمونها و يعتقدون البركة فيها . وكانت السهول الواقعة قرب الجيزة تدعى « مكان الجميز » وكانت مصر نفسها تُدعى في ايام الفراعنة « ارض الجميز »

اشتقاق الانسان من النبات

هذا ولاشتقاق الانسان من النبات مثال آخر ادل مما تقدم . وهو ان كثيرين من متوحشي اميركا وآسيا يعتبرون انفسهم انهم اخوان للاشجار والنباتات التي حولهم و يعتقدون ان لها ارواحاً تحسُّ وتشعر بها . وقد وجدت في الهند وغيرها رسوم كثيرة تمثل اشجاراً معلقة بها رؤُوس بشرية كما ترى في الرسم . وكانت العادة في اوربا منذ القديم ان يزينوا الاشجار بوجوه صناعية من جلد ملون . وكان سكان جزائر بحرايجه يعبدون البحر و يزعمون انه مصدر كل شيءٍ ان فيه كل ما في الارض . ففي الارض افراس و بشر واثمار كالخيار وما اشبه وكذلك في البحر . وانما قالوا هذا القول لما وجدوه من الشبه بين مخلوقات البر والبحر . وفي تقاليد كثير من الشعوب ان زبد البحر الطافي على وجهه هو مادة الحياة الاولى ومنها خلق كل ذي حياة . وكان الرومانيون والهنود والمصريون ايضاً وغيرهم من المتقدمين يعتقدون كما قال المسيو لنورماند « ان العالم شجرة عظمى الارض جذعها

والسماء اغصانها وثمرتها النار . ولما قام الرجل الاول الذي علم الناس كيف تُستخرج النار من الشجرة حسبته الالهة كافرًا لانه « سرق من الشجرة المقدسة ثمرتهـا الممنوعة » وهو قول يقرب مما جاء في التوراة »



الشجرة الخالقة التي كان يقول الاقدمون في العصور الاولى انها كائنة في البحر ومنها يخرج كل شيء حي حتى الانسان نفسه فانك ترى وجهه آخذًا بالبروز من راس الشجرة فضلاً عن الولد الصغير الذي خُلق منها وهو واقف على احدى اوراقها السفلى .

ولكن اين الشجرة التي اعتقدت شعوب كثيرة بان الانسان مشتق منها . الجواب الذي تجيب به كل تلك الشعوب انها كائنة في قعر البحر . فمن البحر يخرج كل شيء . البحر هو مصدر الحياة وصانع المخلوقات . وقد كان هذا الاعتقاد شائعًا كل الشيوع في الهند والصين واليونان . ووجدت في هيا كل بوذة والبراهمة في الهند والصين رسوم كثيرة كالرسم السابق تمثل الشجرة الخالقة العظمى نابتة من قعر البحر ورافعة فروعها فوق الامواج ومنها مشتق الانسان كما ترى في الرسم . ومما ينطبق على هذا الاعتقاد ما رواه فلوطرخوس نقلاً عن عامة اليونان فقد روى انهم كانوا يعتقدون بان سنديانة زوس نبتت من قعر البحر بعد الطوفان . وقوله « بعد الطوفان » يدل على الزمن الذي تلاشى فيه البشر وقام بشر غيرهم . فكانه قال ان الانسان الجديد نبت من تلك السنديانة الجديدة

هذا اهم ما عثرنا عليه في موضوع عبادة الانسان النبات · ومنه يستدل القارئ ان البشر الاول لم يعبدوا اشباههم من المخلوقات الا لما كانوا يرونه فيها من المزايا و يشاهدونه فيها من الرموز او المقدرة او المنفعة وفوق كل ذي علم عليم

الرتيلاء تنسج الحرير

طريقة غزلها الحرير · حريرها اجود من حرير الشرانق · صناعة جديدة
لا خوف على القديمة منها · مكتشف هذا الاكتشاف ·
شجرة تمدن الشعوب

اصبحت تجارة الحرير من اهم تجارات العالم ولذلك كان اصحابها يرتاحون الى كل ما يزيدها انتشارًا

ولقد اكتشفوا في مدغسكر منذ عهد قريب حيوانًا صغيرًا يغزل حريرًا اجود من حرير دود الحرير فسر اصحاب هذه الصناعة بهذا الاكتشاف سرورًا يعادل استياء اصحاب بساتين التوت ومربي الدود منه · وحسب الناس ان دولة دودة الحرير قد انقضت وقامت مكانها دولة جديدة

﴿غزل الرتيلاء الحرير﴾ وهذا الحيوان الذي تقدم ذكره هو الرتيلاء (العنكبوت) التي توجد في جزيرة مدغسكر احدى المستعمرات الفرنسوية · فان هذه الرتيلاء تفرز خيوطًا كالحرير · وهي توجد عادةً في البرية في الاحراش التي يكثر فيها وجود الغذاء ويسميها اهالي مدغسكر «هالابه» ولعلها «حلابه» لانها تفرز مادة سيالة كما تفرز ذوات الثدي الحليب · وهم يطاردونها في الحرش فيصطادونها و يضعونها في سلال ثم يعودون بها الى المدينة لبيعها فياخذها المشترون و يستخرجون منها الحرير بالطريقة الآتية

يصنعون لها ثقوبًا في خشبة ويُدخلون رؤوسها من هذه الثقوب حتى لا تستطيع التفلت منها فتصبح اجسامها خارج الخشبة فيؤتى بالاولاد الذين يُعهد اليهم استخراج الحرير فيأخذون بلمس بطن الرتيلاء باصابعهم فتعلق بها المادة السائلة فيبعدون اصابعهم عنها رويدًا رويدًا فيكون فيها خيط دقيق جدًا لامع وهو الحرير المطلوب · والعادة ان يكون عدد الاولاد ١٢ او ٢٤ ولدًا على حسب المطلوب فاذا كانوا يرومون جعل الخيط المستخرج بثخانة ٢٤ خيطًا كان الاولاد ٢٤ والا كانوا ١٢ ومتى استخرج الولد الخيط علقه بآلة

قريبة وهي تضم الخيوط المستخرجة كلها وتبرمها فتجعلها خيطاً واحداً متيناً . وهذه الطريقة هي نفس طريقة « حلّ » الحرير المتبعة في الفياج

ولما يطول هذا العمل وتفرغ الرتيلاء اي تنضب المادة السيالة من جسمها تؤخذ وتُلق في البستان لتتجدد قواها وتستعيد مادتها وتوضع مكانها رتيلاء جديدة . وهكذا كلما فرغت الرتيلاء وضعت مكانها رتيلاء ملآنة . والفارغة تملئ بعد معيشتها في البستان بضعة ايام فتعاد الى الخشبة لاستخراج المادة التي تكون قد خزنتها من جديد . وهلم جرًّا

﴿ صفة الحرير المستخرج من الرتيلاء ﴾ اما الحرير المستخرج من هذه الرتيلاء فانه يفوق حرير الفياج من كل الوجوه . فانه اشد ليناً ونعومة وعلى الخصوص اشد لمعاناً لان لمعانه يشبه لمعان الذهب بل يفوقه . وهذا الذي ادهش ناظريه . وهو مع ذلك دقيق الخيوط يسهل صنع الانسجة الدقيقة منه . على انه مع دقته قوي متين لا يُبلى نسيجه ولا تفنيه القرون . ولكنهم يخشون ان يكون ذلك الرونق الجميل الذي يزينه يذهب عند غسله بالماء لانهم لم يجربوا غسله

﴿ استحالة جعله صناعة واسعة ﴾ والآن فلا بد ان يرى القارئ ان خوف زراع التوت ومربي دود الحرير في مكانه لان هذه الرتيلاء قد تغني عنه . فنقول انه لا خوف على دود الحرير من هذه الرتيلاء ولا يمكن ان يُصبح حريرها صناعة واسعة منتشرة قادرة على مزاحمة حرير الدود وذلك للسبب التالي

ان الرتيلاء التي تفرز خيوط الحرير هي الانثى اما الذكر فانه لا يفرز شيئاً . ومن طبيعة هذه الانثى انها اقوى من الذكر فاذا دنا منها على غير رضاها قتلته واكلته في الحال ولذلك لا يدنو منها الا في ايام معلومة تكون فيها راضية عنه . وبناء عليه فان تربيتها وتوليدها على طريقة تربية دود الحرير امر غير ممكن . ولما يأتي نساء مدغسكر بسلال الرتيلاء من الحرش يُسرعن الى اطلاقها منها حين وصولهن الى البيت لانهن اذا ابقينها في السلة وقتاً طويلاً فربما اكلت هذه الحيوانات الشرسة بعضها بعضاً فلم يبقَ في السلة الا الاخيرة منهن . على ان تربيتها اذا كانت متعذرة لهذا السبب فذلك لا يمنع ان يُستخرج منها كميات قليلة من الحرير تُنسج ويباع نسيجها لنساء الاغنياء باثمان باهظة جداً فلا خوف اذاً على صناعة الحرير منها

﴿ مكتشف هذا الاكتشاف ﴾ اما مكتشف هذا الاكتشاف فهو الاب كمبوي من رجال البعثة الكاثوليكية في مدغسكر . فانه كان يرى في حديقته خيوط

الرتيلاء التي تنسجها على الاشجار كما ينسج العنكبوت خيوطه فجمع منها شيئاً كثيراً ثم نسجه فكان نسيجاً قوياً لا يوجد نسيج بقوته ومتانته ولكنه خشن . فخطر له ان يستخرج الخيوط من الرتيلاء رأساً فامسك بعضها وجرب استخراج تلك المادة منها بلمس بطنها فنجحت الطريقة وتم اكتشافه وكان ذلك منذ عامين

وقد جيء ببعض هذه الرتيلاء في هذا العام الى المعرض وهي الآن معروضة فيه تغزل امام الحاضرين الذين يشاهدونها وتتغذى بالذباب الباريزي الذي قد استطابته على ما يظهر ولذلك صارت نشيطة في غزلها ... وقد ادخل الجنرال غاليبني حاكم مدغسكر هذه الرتيلاء الى مدرسة الصنائع الفرنسوية التي انشأها في تاناناريف عاصمتها وذلك لتربيتها فيها واستخراج حريرها . وهم يوالون ذلك ويجتهدون باتقان هذه الصناعة الجديدة

﴿ شجرة تُمدّنُ الشعوب ﴾ وعلى ذكر دود الحرير والتوت لا يسعنا الا الاسف من ان الحكومة المصرية لم تنشط بعدُ تربية دود الحرير في بلادها التنشيط الواجب . وحسبنا في اظهار اهمية هذه التربية ان نورد كلمة عنها وردت في كتاب « تربية امهات العائلة » للكاتب « ايمه مارتين » . قال ما خلاصته . « منذ نصف قرن كان سكان احدى الجهات الجنوبية في فرنسا قوماً اشبه بالمتوحشين . فقد كانت طباعهم خشنة واخلاقهم شرسة يصرفون ايامهم في الجبال في مقاتلة بعضهم بعضاً ومطاردة الحيوانات الكاسرة اصيدها وليلهم في قطع الطرق وهم في احط درجات الهيئة الاجتماعية من حيث قذارة الملبس والمسكن ومعاملة النساء . واخلاقهم هذه انما كانت منقولة عن ارضهم . فان بلادهم كانت جبالاً وعرة فيها بعض سهول قاحلة جدباء ليس لها شيء يستانس به الناظر اليها او المسافر فيها . وكان سكانها يقصدون بعض الاحيان كنيسة قائمة في جهة اخرى على مسافة قريبة منهم وهم يحملون بنادقهم ويلبسون "جزماتهم" الضخمة كانهم سائرون لقتال . وبالجملة فقد كانت تلك الجهة لا يُذكر اسمها حتى يستعيذ كل الناس من سكانها

« ثم كرت الايام والاعوام فما شعر سكان البلاد المجاورة الا وقد تبدلت حالة اولئك الاهالي الخشنين . فتلطفت عاداتهم وحسنت اخلاقهم وبشت وجوههم ونظفت ملابسهم ومنازلهم وصاروا يحترمون نساءهم ومتى ذهبوا الى الكنيسة كانوا يذهبون اليها باحترام وخشوع . اما ارضهم فقد تغيرت ايضاً كما تغيروا فاصبحت خضراء يروق الابصار منظرها . فما سبب كل هذا الانقلاب العظيم

سببه شجرة واحدة . فان احد الاغنياء ابتاع ارضاً في جوار ارضهم وغرسها توتاً ثم

احد بتربية دود الحرير فيها فربح ار باحاً طائلة فغار اولئك السكان منه فعزقوا جبالهم وسهولهم ومهدوها ثم غرسوا شجرة التوت فيها و ربوا دود الحرير فما لبثت السعة ان انتشرت بينهم فنقلتهم من حالة الى حالة . ولذلك لقب الكتاب في ذلك الزمان شجرة التوت " ممدنة الشعوب " فما احرى هذه الشجرة الممدنة بالدخول الى كل ارض شعبها محتاج مسكين

القطب الشمالي

الدوق ابروزي وعودته من القطب فائزاً . ماذا يوجد في القطب الشمالي . نتائج رحلته التي ظهرت الى الآن . تهنئة الجمعية الخديوية الجوغرافية رحلة جديدة

لما شاع في العام الماضي خبر عزم الدوق ابروزي ابن اخي المرحوم الملك همبرت وابن عم الملك عمانوئيل الثالث ملك ايطاليا على السنر لاكتشاف القطب الشمالي قلنا يومئذٍ في العدد السابع من السنة الاولى ما نصه

" ان نفوس البشر تختلف ملذاتها باختلاف اميالها ومشاربها فزيد لذته ان يجمع الذهب اكواماً في خزانته و يقفل عليه فلا ينتفع به احد . وعمرو لذته ان يتصدر في قومه فيكون منهم مكان المركز من الدائرة . وبكر ان يصرف نهاره وليله في الحانات بين الاقداح والقداح . وخالد ان يثلب اعراض اصحابه ومعارفه لدى جلاسه دلالة على طلاقة لسانه . وآخر لذته ان يحشو جوفه بالمآكل السمينة فلا تسمعه يتحدث الا باللحوم والخمور . وغيره سبت لبه الحسان والجمعيات الدنيوية فلا يرى في غيرها حياة وهناء . الى آخر ما هنالك .

" ولكن من حسن حظ الانسانية لكمال عمار هذه الارض ان يوجد فيها رجال تعلو نفوسهم عن هذه المطالب التافهة الحقيرة وتغلو في جو الحياة مسوقة الى الاغراض النبيلة والمطالب الشريفة . افراد من البشر يزهدون في تلك الطيباب المادية و يرغبون في طيبات " نفسية " فيقدمون بها العالم و يرقون الانسانية . انظر الى نيوتن في معمله تائه الافكار في النواميس الطبيعية التي بين يديه ذاهلاً عن كل شيءٍ في العالم حتى عن غذائه الذي فيه قوام حياته . انظر بالسي وراء اتونه يطعم النار اثاث منزله تحت المطر والبرد عازماً على ان يموت و يفني كل ما يملكه او يتم اختراعه . انظر اديسن في معمله يصارع النواميس الطبيعية و باستور



الدوق ابروزي

ابن عم ملك ايطاليا الحاضر الذي عاد حديثاً
من رحلته الى القطب الشمالي

في مخبره يربي الجراثيم ويكتشف مبدأ يدفع الانسانية به الى امام دفعاً شديداً ٠ انظر جول سيمون وسبنسر في مكتبتيهما ينظران في النواميس الفلسفية والادبية ويحلان عقدها. جوٌ رفيع تتناجى فيه تلك النفوس الكبيرة وتحلق ارواحهم فيه فوق حيوانات نهمة شرهة تدعى بشراً انوفها لاصقة بتراب الارض لتاكل مما فيه من الخشاش والدود وما اشبهها مما تسمي الطيبات المادية

« وقد اراد الدوق دي زابروز ابن اخي الملك همبرت بسفره الى القطب الشمالي ان ينفض عن نفسه غبار هذه الارض ويحلق في ذلك الجو الرفيع اما تفصيل سفره فاليك بيانه

« يسافر في اواسط يونيو الجاري من لورويك قرب كريستيانا على سفينة متينة ابتاعها وسماها « النجم القطبي» ويكون في صحبته من مهرة البحارة والادلة عشرون نفساً فيهم طبيبان وقائدان للسفينة ويكون حمل هذه السفينة ٣٥٠ طناً من الفحم الحجري و٢٥٠ طناً من المؤن والامتعة موضوعة في ١٥٠٠ صندوق ثقل كل صندوق منها ٢٥ كيلو غراماً وذلك لتسهيل نقلها على ظهور الرجال حين الاقتضاء٠ وعند وصول السفينة الى اكانجليسك ينضم

الى حاشية الامير ورفاقه ١٢٠ رفيقاً لا يستطيع ان يصل الى القطب من غير مساعدتهم وهم كلاب الاسكيمو لجر المزالق التي تسير بهم على الثلج ومعها سواقها » انتهى

نقول . وقد عاد هذا الامير المقدام من هذه السياحة في الشهر الماضي مكللاً باكليل الفوز وان كان فوزه غير تام فجرى له في اسوج وايطاليا استقبال عظيم وقد خف ملك ايطاليا عمانوئيل الثالث نفسه الى نابولي لاستقباله فيها وهتف له الشعب هتافاً عظيماً وتناقلت جميع جرائد العالم ومجلاتها تفاصيل رحلته مثنية عليه بما يستحقه اقدامه واجتهاده من الثناء الجزيل . وهذا ملخص هذه الرحلة

سارت بعثة الدوق بامن وسلامة حتى وصلت الى كاب فلورا التي كانت محطة السفر الحقيقية فعجب رجال البعثة من وجودهم خضرة وطيوراً في تلك الدرجة فبعثوا الى اهلهم بكتب يظهرون فيها استغرابهم ويخبرونهم ان فواتح السفر تدل على انه سيكون سفراً حميد النتيجة . ثم سافروا من كاب فلورا الى ارض فرنسوى جوزيف فاجتازوا في اغسطس المكان الذي شتى فيه ننسن وجوهنسن بين سنة ٩٥ و٩٦ ثم ظلوا متجهين شمالاً شمالاً قاصدين نقطة القطب الشمالي

ولنذكر الآن كلمة عن القطب الشمالي والغرض من اكتشافه .

خذ خريطة الكرة الارضية فتجد للكرة جانبين متقابلين الواحد شمالي وهو في اعلى الكرة على الورقة والثاني جنوبي وهو في اسفلها . فالاول يسمى في اصطلاح الجوغرافيين القطب الشمالي والثاني القطب الجنوبي . واذا تاملت في الخريطة وجدت ان علماء الجوغرافيا لا يرسمون في دائرتي هذين القطبين شيئاً لانهم يجهلون ما فيها

اما القطب الجنوبي فانهم يجهلونه تماماً واما القطب الشمالي فقد سافر كثيرون لارتياده واشهرهم الرحالة ننسن الذي فاق جميع الرواد الذين قبله بتقدمه من هذا القطب الى درجة لم يبلغها احد قبله

والآراء منقسمة في ما يوجد وراء ذلك . فبعضهم يذهب انه يوجد عند القطب عالم جديد مأهول ببشر قد الفوا البرد الهائل الذي عنده . وغيرهم يزعم ان هنالك ارضاً قفراء غير ماهولة . وآخرون يقولون بل هنالك بحر واسع لا غير . ولما كان من دلائل ضعف الانسان وعجزه ان يبقى فتراً من الارض التي يسكنها مجهولاً منه فلذلك كان العلماء حتى الامراء يهتمون باكتشاف ذلك المجهول هذا فضلاً عما يكون للعلم من الفوائد في درس احوال تلك الاقطار المجهولة والوقوف على طبيعة حيواناتها وعناصرها

ولكن الدوق ابروزي ما اجتاز ارض فرنسوى جوزيف واخذ بالاقتراب من القطب في طريق تقابل الطريق التي اتبعها ننسن حتى وجد نفسه في ٩ اغسطس امام جبال وسهول فسيحة من الثلج قائمة في وسط البحر على شواطئ جزيرة البرنس رودولف عند الدرجة ٨٢ · فاضطر الى الوقوف والعدول عن التقدم ولذلك انشأ على هذا الشاطئ خيمة كبيرة ليشتي فيها مع رجاله · فما صرف فيها ليلاً واحدًا حتى رأى في الصباح ان الثلج قد غطاها وكان البرد شديدًا الى درجه لا تحتمل · وفي ٨ سبتمبر وهم صابرون على هذه الحالة ينتظرون ان ينقضي الشتاء فتذوب تلك الثلوج وتنفتح طريقهم واذا بقطع الثلج كالجبال اخذت تتكاثر حول السفينة في البحر حتى زحمتها من كل جانب فانكسر احد جوانبها من كثرة الضغط ودخلت المياه اليها فبادر الرجال الى اصلاحها وانقاذ المؤن منها · وهذه هي الساعة الوحيدة التي دخل فيها الجزع الى قلوبهم لانهم خافوا اذا اجهزت الثلوج على السفينة ان يموتوا في تلك الجهات جوعًا وبردًا · وقد بقيت السفينة محصورة بين الثلج ١١ شهرًا

ولما راى البرنس انه لا سبيل بعد ذلك للمسير الى القطب الا برًا على الثلوج عزم على ارسال البعثات نحوه لتنشئ في الطريق محطات على طريقة ننسن ولتصل الى ابعد نقطة تستطيع الوصول اليها · فبعث اربع بعثات · اما الاولى فعادت سريعًا بعد ان اتمت عملها وسارت الثانية ولكنها لم يبن لها بعد ذلك اثر · اما الثالثة فغابت ٢٤ يومًا ثم عادت · واما الرابعة فانها تجاوزت الجميع اذ غابت ١٠٥ ايام وقد انشأت في طريقها محطات وضعت فيها مؤنًا للبعثة التي تاهت لعلها تهتدي اليها

واما نتائج الرحلة التي ظهرت الى الآن فاليك بيانها

(١) ان الكابتن كاني الذي كان يقود البعثة الرابعة التي غابت ١٠٥ ايام على ثلوج القطب قد فاق ننسن لانه وصل الى الدرجة ٨٦ والدقيقة ٣٣ اي انه تقدم ننسن بنحو ٣٨ كيلو مترًا فلم يبقَ بينه وبين نقطة القطب سوى ٣٧ كيلومترًا

(٢) ان الكابتن المذكور لم يرَ في كل تلك الجهات التي رادها في مدة الـ ١٠٥ ايام سوى جبال من الثلج وسهول ثلجية يغطيها ضباب كثيف لا تنفذه اشعة الشمس وذلك يدل على عدم وجود ارض هناك بل ولا بحر لانه لو كان بحر القطب خاليًا من الثلج لرأى ذلك لانه تقدم الى مسافة ٣٧ كيلومترًا منه كما قلنا

(٣) تحت دائرة الثلج التي تحيط بالقطب بحر عظيم ذو مد وجزر وقد تحدث فيه

زوابع ايضاً وقد استدلوا على ذلك بما شاهدوه من الثقوب الهائلة التي تحدث في الثلوج فوقه وربما كانت حرارة الماء تحت الثلج ٥ درجات فوق الصفر على حين انها تكون في الهواء فوق الثلج ٢٠ درجة تحت الصفر . واما عمق هذا البحر فقد يبلغ في اعمق الجهات ٤ الاف متر

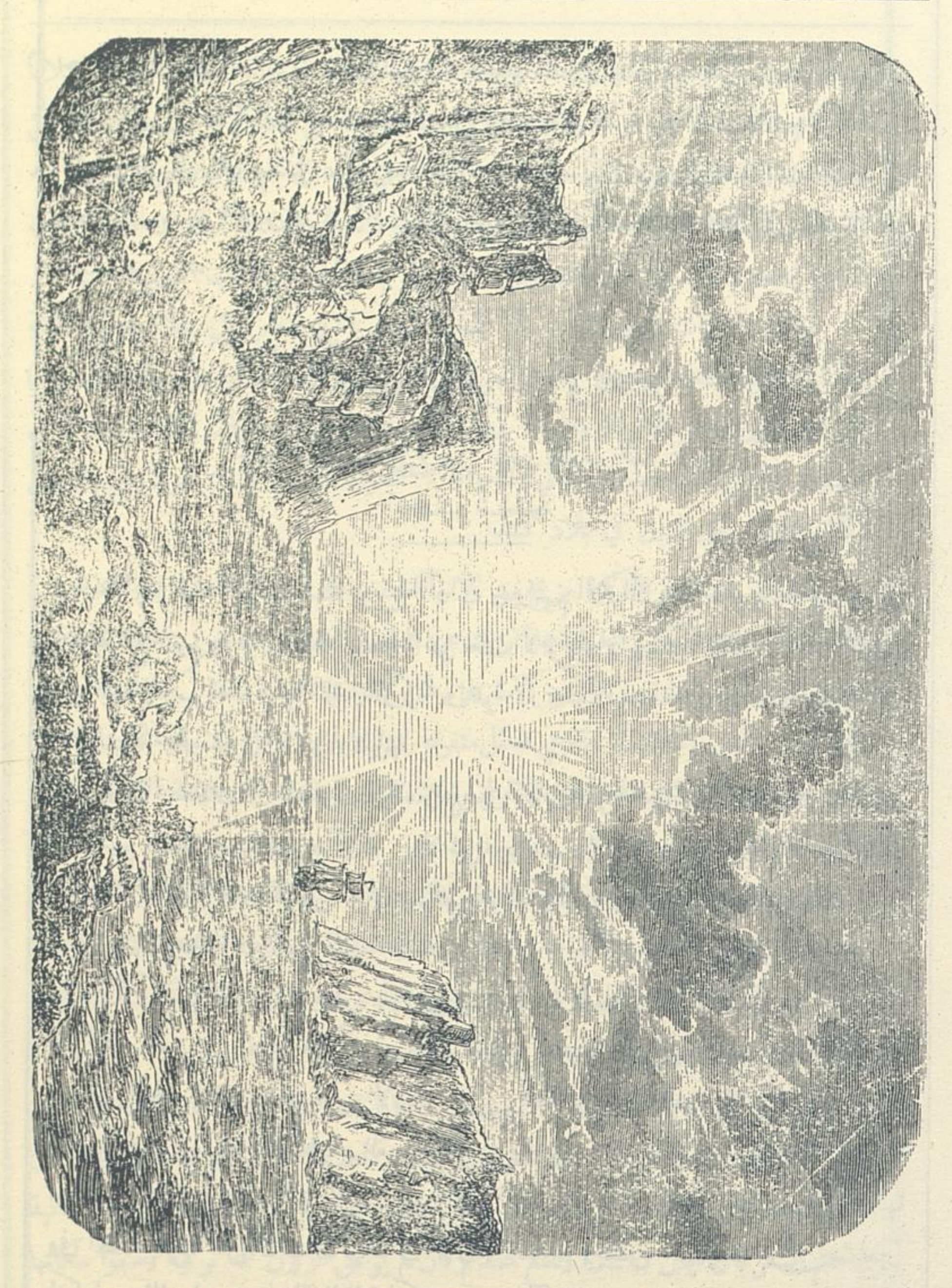
(٤) ان اشد برد شعر به الدوق في تلك الاصقاع كانت درجته ٥٢ درجة تحت الصفر ولكن مقياس السائح دي لونغ هبط يوماً هناك الى الدرجة ٥٨ تحت الصفر فكان برده اشد من برد لونغ . وقد هرأ البرد اصبعين من اصابع الدوق ولذلك استشار الاطباء بعد عودته في بترهما فلم يشيرا به

(٥) ان علماء الجوغرافيا يرسمون في الخرائط الى هذه الايام بين ارخبيل فرنسوى جوزيف وكاب فلوفا ارضين يسمونهما " باترمان " و " كاب اوسبورن " ولكن الدوق ابروزي استثبت ان هاتين الارضين غير موجودتين ولذلك سيجعل الخريطة التي رسمها ببيان سياحته خالية منهما

وقد قاسى الدوق ورجاله في هذه الحملة اهوالاً لا سيما حينما نفد زادهم واخذوا يقتاتون بلحم الدببة التي كانوا يصطادونها او بلحم الكلاب التي معهم ويقال انهم اقاموا مائة يوم لا ياكلون الا من لحم الكلاب . وقد بلغت نفقات الحملة نحو مليون فرنك . وسئل الكابتن كاني ربان السفينة بعد عودة البعثة الى اوربا هل حقيقي ما شاع من ان الدوق سيعود الى القطب فاجاب انني لا انكر انه لولا فراغ الزاد مني لقدرت في بعثتي على الوصول الى القطب ولكن مع ذلك فان رحلة كهذه الرحلة لا يرحلها الانسان الا مرة في العمر

على ان كثيرين ممن قابلوا الدوق رأوا منه شفقة شديدة على البعثة الثانية التي تاهت في ثلوج القطب فاستنتجوا انه لا بد ان يعود لاغاثة رجالها اذا كانوا لا يزالون احياء . وغيرهم يرى ان ذلك الامير المقدام الذي جعل همه تارة السفر الى الاسكا لتسلق جبالها وهبوط اوديتها وطوراً الصعود الى جبال الالب الشاهقة وآونة الرحلة الى مجاهيل القطب لا يهنأ له عيش اذا لم يصرف عمره في الاعمال الجليلة واقتحام الاخطار في سبيلها ولذلك يعتقدون انه سيرحل الى القطب مرة ثانية ليدوس كل المصاعب التي في طريقه ويبلغ غرضه . فما اجدر هذا الشاب بان يكون مثالاً حسناً للشبان الذين يتركون قواهم تفنى في الكسل والبطالة

ومما يجدر ذكره في هذا المقام ان الجمعية الجوغرافية الخديوية المصرية في العاصمة قد بعثت في هذا الشهر الى الدوق الشاب تلغرافاً تهنئه فيه بكونه تقدم من القطب اكثر من



منظر من مناظر القطب الشمالي. الثلوج كالجبال الراسية في البحر وعليها الدببة ترتص وتتداعب
وسفينة للسياح ترتاد تلك الجهات وامامها الشمس مائلة الى الغروب

جميع الرواد والسياح الذين رحلوا اليه قبله فاجابها الدوق بتلغراف يشكر لها هذه التهنئة ٠ ويقال ان شركة اميركية قد عزمت على تسيير بعثة جديدة في العام القادم لاكتشاف القطب الشمالي وهي ستنفق عليها خمسة ملايين فرنك فعسى ان نرى في هذه البعثة الاميركية بعض السوريين المقيمين في اميركا ليقال فيهم ما قيل في اجدادهم « في كل وادٍ اثر من الفينيقيين »

آداب الاتراك ولغتهم

لحضرة الكاتب البارع جميل افندي معلوف احد تلامذة المكاتب السلطانية

قلما يعلم قراء العربية شيئاً عن آداب جيرانهم الاتراك وعوائدهم واخلاقهم وسائر احوالهم مع انهم يعرفون اشياء كثيرة عن لغات الافرنج وادابهم وما ذلك الا لان القليلين من ابناء العرب قد درسوا اللغة التركية وتلقوا دروسهم في مدارس الدولة العلية التي اصبحت لا تخلو منها ولاية من ولاياتها

ومن اعتقادي ان التعارف والامتزاج بين رعايا الدولة العثمانية امر واجب ما زالت علاقاتهم متصلة ومصالحهم مشتركة ٠ ولا شيء يوجب ذلك التعارف بين العناصر المختلفة من ابناء المملكة الواحدة مثل اطلاعهم على عوائد وآداب بعضهم البعض فان ذلك يزيل من بينهم سوء التفاهم وينتج الالفة والمحبة

ولما كنت قد تلقيت بعض دروسي في المكاتب السلطانية وتعمقت في دروس اللغة التركية ووقفت على ادابها وقرأت مؤلفات مشاهير كتابها وشعرائها المتقدمين والمتاخرين احببت اجابة لبعض اصدقائي الادباء ان اتكلم عن اداب الاتراك مع ابداء رايي الشخصي بها ومقابلتها باداب العرب والافرنج والفرس ٠ وقد رايت استيفاء لهذا الموضوع ان اقسم البحث فيه الى ٣ مقالات ٠ ففي المقالة الاولى ابحث عن حقيقة اللغة التركية وادابها وفي المقالة الثانية عن اداب الاتراك في الازمنة القديمة وبعض حكايات عن مشاهير الكتاب والشعراء وفي المقالة الثالثة اكتب عن ادباء اليوم

✻ المقالة الاولى ٠ اللغة التركية قديماً وحديثاً ✻

التركية لغة من لغات الشرق القديمة وانما سميت بهذا الاسم نسبة الى الاتراك الذين

يتصل نسبهم بترك ابن يافث وهي الآن اللغة الرسمية للدولة العثمانية ولكنها تختلف اختلافاً كلياً في الوقت الحاضر عما كانت عليه في الازمنة الغابرة حتى انك اذا اتيت بكتاب تركي قديم العهد واطلعتَ عليه شاباً من شبان الاتراك في هذه الايام لما استطاع ان يفهم منه الا القليل من الكلام ذلك نظراً للتغير العظيم الذي طرأ على هذه اللغة في ادوارها الاخيرة اذ انها تنقحت وتهذبت وُربطت بقواعد واصول جعلتها اشبه باللغات الغربية

وشبان الاتراك الذين نشأوا بهذا العصر يسعون الان لقطع كل علاقة بين اللغة التركية القديمة واللغة العصرية الجديدة حتى انهم لا يسمونها اللغة التركية بل (اللغة العثمانية) على ان كثيرين من الاتراك وعلى الاخص القسم الذي يقطن ولايات الاناضول لا تزال لغتهم قريبة من لغة اجدادهم واهالي الاستانة يستهجنون كلامهم كما يستهجن اهالي باريس كلام الفرنسويين الذين في بلاد كندا

ولا يخفى ان اللغة التركية مزيج من ثلاث لغات : لغة الاتراك القدماء : واللغة العربية واللغة الفارسية : والكلام العربي فيها يزيد عن الفارسي وقد يزيد عن الكلام التركي وكثيراً ما تكون العبارة مؤلفة من كلمات عربية يربطها في النهاية الفعل كقولهم « مشرق بطحا دن شمس اسلامك طلوعي قبائل متفرقة عرب ايجون بر علامة اتحاد ايدي » ومعنى هذه العبارة « ان طلوع شمس الاسلام من مشرق البطحاء كان علامة الاتحاد لقبائل العرب المتفرقة »

فيرى القارىء في هذه الجملة التركية عشر كلمات عربية بينما لا يجد الا ثلاث كلمات تركية فقط وهذا يحسب عندهم من الفصاحة . وهو من مستحدثاتهم في الايام الاخيرة لان الاتراك الاقدمين لم يكونوا يستعملون في كتاباتهم الفاظاً عربية الا نادراً بل كانت كتاباتهم تركية محضة مع بعض الفاظ فارسية مهجورة

اما في هذه الايام فانهم لا يستعملون من الالفاظ الفارسية الا ما كان لطيفاً على السمع وعلى الاخص في تحريرات الحكومة الرسمية . كذلك الكلمات العربية فانهم يختارون منها ما هو مالوف ويهجرون الكلمات الغويصة الخشنة . وشعراء الاتراك يجدون سهولة كافية في نظم الشعر لان مجال الكلمات واسع عندهم فان لم يوافق الوزن كلمة تركية وضعوا مكانها كلمة عربية او فارسية توافق المعنى والوزن معاً

وتختلف التركية عن سائر لغات العالم بمسألة تركيب الجمل فانهم يضعون الفعل في آخر العبارة دائماً فاذا ارادوا ان يقولوا مثلاً

« حضر الى الاستانة من بيروت احمد افندي احد طلبة المكتب الاعدادي »
فيجعلون الجملة مقلوبة هكذا
« احد طلبة المكتب الاعدادي احمد افندي من بيروت الى الاستانة حضر »
ويقال ان اللغة الالمانية قريبة من هذا النوع
والعبارة في لغتهم طويلة حتى انك تقرأ اكثر من عشرين سطرًا قبل ان تصل الى الفعل الذي لا يأتي الا في نهاية العبارة كما تقدم

ولكن ادباء الاتراك العصريين يسعون اليوم لاجتناب هذا التطويل الممل لا سيما في الروايات والمقالات الادبية فلا يجعلون العبارة اطول من سطر او سطرين . وتمتاز لغتهم عن اللغة العربية باستعمال العلامات المألوفة في اللغات الغربية كادوات الاستفهام والتعجب والعلامة المسماة (فركل) وغيرها مما لا وجود له في اللغة العربية وقد حذا حذوهم الفرس فادخلوا هذه العلامات في لغتهم ايضًا

وقد تألفت في الاستانة لجنة خاصة لترقية اداب اللغة التركية وتعميم المعارف في السلطنة ودعيت (انجمن معارف) وقد كان المرحوم جودت باشا المؤلف الشهير من اعظم العاملين بها . ولهذا الباشا ابنة تدعى فاطمة عليه خانم تعد الآن من اشهر كاتبات الاتراك وسياتي الكلام عنها وعن مؤلفاتها في المقالة الاخيرة

وخلاصة ما يقال بهذا الموضوع ان اللغة التركية قد تهذبت وترقت في العشرين سنة الاخيرة ترقيًا سريعًا حتى صارت من الطف اللغات على السمع بعد ان كان يضرب المثل بخشونتها . ومن احب الامور ان تسمع ولدًا تركيًا يكلم والده او تراه يوبخ خادمه او يغني الاغاني الاستانبولية فان في نبرات صوته حلاوة شرقية امتازت بها اللغة التركية

﴿ المقالة الثانية . ادباء الاتراك في الازمنة القديمة ﴾

الترك امة نشأت بالسيف وعظمت بالسيف ولاتزال عائشة بالقوة العسكرية . وهذه الامة لم ترَ في بادئ نشأتها حاجة شديدة الى القلم لان لسان حالها كان يقول « ويفعل السيف ما لا يفعل القلم » لذلك لا نقدر ان نقول انه قد نشأ فيها من الكتاب والعلماء ما نشأ في العرب والفرس الذين استفاد العالم فائدة كبيرة من علومهم وفلسفتهم

على ان الترك مع ذلك لم يقصروا في اجتناء فوائد العلم ولا اهملوا صناعة الشعر وفن الانشاء فنبغ فيهم شعراء وكتاب كان يجب ان يكونوا معروفين في عالم الادب اكثر مما عُرفوا حتى الآن . وعندي ان السبب الحقيقي في انطماس آثارهم عدم اهتمام كتاب الاتراك

الحديثين بتاريخ احوالهم وتدوين اخبارهم ونشرها باللغات الاجنبية لتطلع عليها باقي الامم الشرقية والغربيـة فان في بعض مكاتب الاستانة القديمة كتباً نفيسة من تاليف كتاب الترك القدماء ولكنك لا تجد منها الا نسخاً بالية مطبوعة طبعاً حجريا تعسر قراءته وفهمه مع ان اعادة طبعها ونشرها بين الايدي امر واجب لحفظ اثار السلف واحياء النهضة الادبية في صدور الخلف

اما اداب الاتراك فانها تقسم الى ثلاثة ادوار فالدور الاول ينتهي في عهد السلطان سليمان القانوني والدور الثاني في اواسط القرن الثالث عشر للهجرة اي في اواخر عهد السلطان محمود الثاني والدور الثالث يشمل اواخر العصر الاخير وايامنا الحاضرة ولكل دور من هذه الادوار الثلثة نوابغ ينسبون اليه والدور المتوسط هو اغنى تلك الادوار اذ نبغ فيه اكثر كتاب الاتراك وسياتي الكلام عنهم

اما الدور الاول فقد اشتهر من نوابغـه الكاتب الشهير ملا خسرو وهو رجل مسيحي الاصل اعتنق الديانة الاسلامية واشتهر بعلمه وتقواه فقربه منه السلطان محمد الفاتح وجعله قاضياً على القسطنطينية بعد فتحها. وكان وزراء المملكة ورجالها يبالغون في اكرامه فاذا خرج الى الجامع اصطفت الناس من عن جانبي الطريق التماساً للبركة من لمس اذياله وكان يلقب بابي حنيفة وله في علم الفقه مؤلفات نفيسة منها الغرر والدرر والمرآة وغيرها وقد اشتهر بالزهد والتواضع فكان مع سعة ثروته لا يلبس الا لباساً رثاً وكان يكنس منزله بيده بالرغم عما كان لديه من الجواري والخدم

وكان من معاصريه عالم شهير يدعى احمد بن اسماعيل الكوراني . هذا الرجل نشأ في مصر وكانت اذ ذاك لم تدخل في حكم الدولة العثمانية فحدث ان لكاين الرومي الذي كان مقرباً من السلطان مراد الثاني ذهب لاداء فريضة الحج وفي عودته عرج على مصر وهنالك عرف الكوراني المشار اليه فاعجب بذكائه واصطحبه معه الى مقر السلطنة ولما ذهب لمقابلة السلطان ساله السلطان قائلاً

— ما هي الهدية التي جئتنا بها من سفرك الى الحج فاجاب لكاين الرومي — جئتكم يامولاي بعالم كامل (وهو يعني الكوراني) فقال السلطان

— انها والله لافضل هدية فاخرة جئتني به لاراه

ولما مثل الكوراني في حضرة السلطان اعجب السلطان به و بغزارة علمه وقربه منه ثم جعله استاذاً لابنه محمد فاتح القسطنطينية واليه ينسب الفضل في حسن تربية هذا السلطان

على انه لما تولى السلطان محمد زمام الملك اكثر الكوراني من معارضته في اعماله فرام التخلص منه وابعده الى بروصه فعاد منها الى مصر واكرمه سلطانها قايتباي ولكن السلطان محمداً اعاد فاستدعاه اليه وعينه قاضيعسكر وكان يحب مجالسته فيستدعيه اليه ويستدعي نخبة من المشايخ والعلماء ويفتح لهم باب المجادلات الشرعية والمباحث العلمية ليرى الفائز منهم

ولما توفي مشى في جنازته السلطان با يزيد نفسه وكان عليه دين يبلغ ١٨٠٠٠٠ غرش فدفعها لاصحابها من بيت المال

وكان هذا ايضاً تقياً فاضلاً فكان لا ينام كل ليلة قبل ان يتم قراءة القرآن من اوله الى آخره الا انه كان على طرفي نقيض مع ملا خسرو الآنف الذكر . وقد حدث ان الشيخ ابن وفا ابى زيارته مفضلاً الالتصاق برقيبه ملا خسرو فلما ابلغه ذلك الناس قال لهم « لاعجب فان الطيور لا تقع الا على اشكالها » وله مفاوضات مشهورة مع السلطان الفاتح تعرف « بكلام الملوك ملوك الكلام » ونشأ في ذلك العهد شعراء كثيرون من جملتهم لطفي الذي قتل بسبب فتوى اصدرها

فارخ وفاته بعض الشعراء بقوله (قد مت شهيداً) ومجموع هذه الكمات الابجدية ٨٩٤ وهي سنة وفاته هجرية

واشتهر ايضاً في ذلك العهد بن كمال وابو السعود . وللاول قصة لطيفة تظهر سبب رغبته في العلم ذلك انه وجد في ذات يوم في مجلس ابراهيم باشا احد وزراء السلطان با يزيد وكان هناك كثيرون من الكبراء وعظماء الدولة فدخل عليهم درويش رث اللباس فقير الحال وتصدرهم جميعاً فدهش بن كمال من هذا الامر وحسب عمل ذلك الدرويش وقاحة وتطاولاً وسال عن السبب فقيل له ان الرجل استاذ عالم والرتبة العلميـة هي اعلى الرتب

فمنذ ذلك العهد اقبل بن كمال على اكتساب العلم حتى نبغ فيه وبلغ درجة الافتاء وكان يلقبه الاشراف (بمفتي الثقلين) وله تآليف كثيرة في التفسير والفقه والفلسفة والتاريخ والشقائق النعمانية من اشهر آثاره الشائعة بين ايدي العموم

اما ابو السعود فانه اشهر عالم نبغ بين الاتراك في العلوم العربية والشرعية فكان يكتب العربية ببلاغة نادرة عند كتاب العرب انفسهم وروي عنه انه كان يصدر في كل يوم الف فتوى شرعية وكان بيته محجة العلماء

وينتهي الدور الاول من اداب الاتراك بالشاعر الشهير فضولي وله ديوان في الشعر يعتبر عند الترك بمقام ديوان المتنبي عندنا وقد ترجم كتاب مجنون ليلى الى الشعر التركي ببلاغة فائقة الحد

اما مشاهير كتاب الدور الثاني فانهم كثيرون يضيق دون ذكرهم المقام ولاكثرهم تآليف جيدة باللغة العربية فضلاً عن مؤلفاتهم بالتركية · فمن مشاهير الشعراء نابي وقد اشتهر بالغزل اللطيف ويلقب بملك الشعراء · وباقي الملقب بسلطان الشعراء · ومن آثاره خيريه التي كتبها نصيحة لابنه وتحفة الحرمين وديوانه الشهير وهو شاعر السلطان سليمان ويعتبر عند الاتراك بمقام ابي العتاهة عند العرب · واشتهر نفعي بالهجو والفخر ومن آثاره سهام قضا وهي في الحقيقة سهام القضاء لان فيها هجواً شديداً لا تحتمله الاذن كتبه في عدوٍ له

كذلك السيد وهبي فانه شاعر جليل ويلقبه الاتراك برئيس الشعراء وراغب باشا الذي اشتهر بالاسفار الحكمية ومن تاليفه بالعربية كتاب سفينة العلوم

وقد اشتهر سروري باشعاره الهزلية ولطائفه الظريفة كما اشتهر نديم بقصائده الغزلية التي تشبه اشعار الفارضي

وقد الف الاتراك كما تقدم كتباً كثيرة بالعربية فان منجم باشي احمد دده الف التاريخ العمومي العربي المسمى صحائف الاخبار وسليمان جلبي الف كتاب كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ذكر فيه اسماء المؤلفات الشهيرة مرتبة حسب حروف الهجاء (ولعل نجل المرحوم فانديك قد اخذعنه هذه الطريقة في مؤلفه الذي نشره مؤخراً بهذا الموضوع) وله تاريخ عربي آخر يدعى فذلكة وهناك مؤلفات عربية جمة الفها الاتراك وجلها شرعية يضيق بنا المقام دون ذكرها

وقد ترجم الاتراك الى لغاتهم بعض الكتب العربية المهمة التي منها تاريخ بن خلدون وترجمة شيخ الاسلام بيري زاده صاحب افندي وللكاتب الشهير وسي اعتراض شديد على قاموس الفيروزابادي · وقد ترجموا ايضاً الى لغتهم كتاب كليلة ودمنة وهو معروف عندهم باسم « همايونامه »

واكثر مؤلفات الاتراك في التاريخ واشهرها « تاج التواريخ » الذي كتبه الخوجه معد الدين شيخ الاسلام

وينتهي الدور الثاني بفؤاد باشا الكبير الذي ذهب الى سوريا عام ١٨٦٠ فانه من

اعاظم كتاب الاتراك ومن مشاهير شعرائهم . ومن آثاره الشعرية كتاب يدعى (محنتكشان) يحتوي على حكم وشكوى من الدهر

اما النساء فلم يكن لهن نصيب كبير من العلم فاشتهر منهن مهري خانم وزينب خانم وفطنة خانم بنت احمد افندى شيخ الاسلام وتحسب في الشعر من طبقة راغب باشا ولكنها لم تبلغ درجة الخنساء عندنا

ومما يستحق الذكر هو سرعة خاطر شعراء الاتراك الى درجة لا اظن ان لها مثيلاً عند غيرهم فانهم ينظمون الشعر بسهولة ولهم على النظم جلد وصبر فان الشاعر كلشني باشر نظم التاريخ العثماني كله بالشعر فنظم بمدة قليلة ٢٠٠٠٠ بيتاً منه ثم مات قبل ان يتمه

ويروى عن بعضهم انه كان يهوى معشوقة فاشترطت عليه يوماً ان ينظم ديواناً من الشعر لا تقل صفحاته عن خمسمئة صفحة يصف فيه طبائع وجمال نساء العالم وصفاً مدققاً ولم تعطه مهلة لذلك سوى اسبوع واحد فما كاد ينتهي الاسبوع حتى اتى على اخره وهو من الدواوين المشهورة ولكن فيه بعض المجون والاحماض

هذا اخر ما بقي في ذاكرتي من اخبار شعراء الاتراك في الازمنة القديمة والمتوسطة وسافيض في الكلام عن شعراء اليوم

***

﴿ الجامعة ﴾ نشرنا هذه المقالة اللطيفة مع الشكر لحضرة كاتبها البارع لاننا نعتقد كما قال في صدرها « بان التعارف والامتزاج بين رعايا الدولة العثمانية امر واجب ما دامت علاقاتهم متصلة ومصالحهم مشتركة . ولا شيء يوجب ذلك التعارف بين العناصر المختلفة من ابناء المملكة الواحدة مثل اطلاعهم على عوائد وآداب بعضهم البعض » وقد كنا نستعد للكتابة في هذا الموضوع ولكننا اكتفينا الآن بنشر ما نقدم . على ان ابواب الجامعة مفتوحة لكل الادباء الذين درسوا في المكاتب التركية اذا ارادوا اطلاع قراء اللغة العربية على تمدن اخوانهم الاتراك الذين قال فيهم بسمارك « انهم اكثر الشرقيين ظرفاً ولطفاً » لانه لا يجدر بهم ان يجهلوا شؤون اقرب الناس اليهم

باب التربية والتعليم

متى امتلأت المدارس فرغت السجون ولا تمتلئ المدارس الا اذا كان التعليم الزاميّاً

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة والاقدام من اخص وظائف المدرسة

اصلاح تعليم البنات

رأي الفيلسوف

اصلاح الاساس مقدم على اصلاح الجدران · بروغرام الدروس الثانوية للبنات في فرنسا راي الفيلسوف جول سيمون فيه وحملته عليه · وصف عقول التلميذات ومبلغ فهمهن · التعليم الصحيح هو الذي يربي الذوق وينشئ الاخلاق لا الذي يملأ الذاكرة فقط

نبدأ منذ اليوم بالدخول الى المدرسة للنظر في طرق تعليمها الصحيحة والفاسدة فقد آن لنا ان ندخلها بعد وقوفنا على ابوابها وقفة طويلة نشرنا في اثنائها المبادئ العامة التي يجب ان تكون تمهيداً للدخول اليها

واذا جعلنا بدء دخولنا اليها الكلام عن اصلاح تعليم البنات فانما نتكلم عن موضوع يجب تقديمه على سواه من وجهين · الوجه الاول ان كل اصلاح مختص بشان النساء مقدم على كل اصلاح سواه لان العمل باصلاح النساء يُحسب لدى العقلاء وعلماء الاجتماع عملاً بترميم اساس الهيئة الاجتماعية · اما سواه من ضروب الاصلاح فلا يُحسب في الحقيقة الا عملاً باصلاح الجدران فقط · والعمل باصلاح الاساس مقدم في كل زمان ومكان على العمل باصلاح الجدران

والوجه الثاني الذي يوجب تقديم الكلام بهذا الشان هو ان الكلام عن اصلاح تربية البنات في هذا الجزء يكون خير تتمة للمقالات التي تقدمت في الاجزاء الاخيرة فيما يختص بتربية النساء · ولذلك نجعل المقالة التالية حلقة نضمها الى سلسلة تلك المقالات ونودعها بعد المقالة التي نقلناها في الجزء الماضي عن الفيلسوف جول سيمون بشان مدارس البنات

الداخلية خلاصة آراء هذا الفيلسوف الكبير في مسالة اصلاح تعليم البنات . وتوصلاً الى هذا الغرض نلخص مقالة له انتقد فيها تعليم البنات في فرنسا . قال ما خلاصته

***

«اذا انعمنا النظر في تعليم الذكور وتعليم الاناث رأينا ان الخطة المتبعة فيهما هي واحدة تقريباً ولا يخفى ما في هذا الامر من الاضرار العظيمة . واثباتاً لذلك فلنبحث في (بروغرام) تعليم البنات فندخل اولاً اذا شئتم الصف الاول من السنة الاولى في القسم الاول فان تلميذاته في الثانية عشرة من عمرهن . واليكم البروغرام الذي تتبعه

» قراءة بصوت عالٍ مع شرحها وتفسيرها في الصف (نظماً ونثراً)

» حفظ شذرات مما كتبه المؤلفون الفرنسو يون غيباً

» الصرف الفرنسوي . الاصوات . الكلمات . اقسام الكلام

» تمرينات شفاهية وخطية باللغة الفرنسوية واملاء . اعراب صرفي . املاء في مواضيع مختلفة

» تمرينات ابتدائية في مفردات الكلم وتركيبها . اسماء مصوغة من النعوت والافعال . نعوت مصوغة من الاسماء والافعال الخ . افعال مصوغة من الاسماء والنعوت الخ . درس بعض ملحقات الكلم وزوائدها . اظهار مشتقات وتراكيب فعلٍ او اسم بسيط وصيغتها بعبارة صغيرة الخ

» امتحان في مواضيع تُتلى في الصف ويُطلب من التلميذات مراجعة تلاوتها شفاهاً

» ثم يلي ذلك بيان يتضمن اسماء بعض المؤلفين والكتب وفي صدره هذه العبارة شذرات من تاريخ ادب المؤلفين الذين تدرس الطالبات كتبهم »

هذا هو بروغرام السنة الاولى من التعليم الثانوي للبنات . وكنت اود اظهار افكاري بشان هذه الملحقات والزوائد وهذه المشتقات والتراكيب والنعوت المصوغة من فعل او اسم ولكني اعدل عن ذلك مخافة ان لا استفيد منه غير اظهار جهلي . ولو كان الامر اليَّ لجعلت البروغرام مؤلفاً من القراءة والاملاء وحفظ شذرات تُتلى شفاهاً وتُكتب كتابة ثم متى حفظت تلميذتي جيداً هذه الشذرات المختارة احسن اختيار فانني اكون راضٍ عنها ومسرور منها . ومع ذلك فلننتقل من هذا البروغرام اللغوي الى البروغرامات الاخرى فلا نجد في طريقنا بروغراماً لعلم الادب لا في السنة الاولى ولا في السنة الثانية . ولكننا نجد بروغرام التاريخ . وهو يحتوي سبعة وثلاثين فعلاً من زمن الغاليين القدماء

الى افتتاح الاتراك القسطنطينية · فاخبار الغاليين والفرنك والعرب واسبانيا والمانيا وايطاليا وشارلمان وفتح انكلترا والصليبيين ومملكة اورشليم وترجمة جان دارك : كل هذه امور يطلبون ادخالها في ادمغة الفتيات الرطبة الصغيرة في سنة واحدة مع زيادة عليها في اللغة والبيان والفنون والعادات وفروع الجوغرافيا مثل مهابّ الارياح والمد والجزر وما في القطبين والانهار والجبال والبحيرات والحيوانات والنباتات المهمة وعلائق الدول بعواصمها والثغور التجارية المهمة · ثم انهم يدرسوننا في هذه السنة ايضاً (اعني يدرسون الابنة التي في الثانية عشرة من العمر) القواعد الاربع من الحساب وينبهوننا انهم لا يدرسوننا من القسمة الا كيفية العمل كانهم يدرسوننا فلسفة القواعد الثلاث الاخرى · ثم ندرس الكسور وحساب المتر وقليلاً من مبادئ الهندسة والتصوير · ويعلموننا الانكليزية والالمانية ايضاً اما اشغال الابرة فلم اجد لها اثرًا في الجدول ولا ريب عندي انني انا المخطئة لانني لم ارها اذ لا بد ان تكون موجودة

هذه هي الدروس التي تتلقنها تلميذتكم في السنة الثانية عشرة · فانا انبهكم انكم تملأُون ذاكرتها باشياء كثيرة لا فائدة منها · وهذه الاشياء لا ترسخ في ذهنها بل لا يبقى منها فيه اثر بعد كبرها لان عقلها لا يميل اليها · انكم لم تفهموا الى الآن القاعدتين العظيمتين اللتين تُحسبان اساساً للتعليم والتربية · وهما : تربية الذوق وتعليم القواعد التي تؤدي الى غرض معلوم · انتم تُخرجون من مدارسكم دائماً (وذلك مما يسوؤُني ويُخيفني) بنات مدعيات لا اديبات عالمات · انتم لا تهتمون بانشاء الاخلاق الجميلة وترقية الصفات الحسنة ولا تفتكرون باضرام شعلة الذكاء والنباهة في تلك النفوس الذكية النبيهة من طبعها · بل انكم تحشون تحشون عقولهن ناهجين في ذلك منهج تربية الذكور · رايناكم في تربية الذكور تنادون بوجوب جعلهم قواميس اي تعليمهم كل شيء · وانتم تعتذرون عن ذلك باعذار قد يصح ان تسمى اعذارًا وان كانت اعذارًا فارغة · ولكن اي عذر لكم يا اصحاب في تربية الفتيات هذه التربية ايضاً ? انتم بهذه التربية تقتلون عقل الابنة وتمنعون النساء ان يكن حقيقة نساء · اني ارى في بروغراماتكم علم البيان هنا وهناك ولكني ارى ايضاً ملحقات الكلم وزوائدها ومشتقاتها وتراكيبها وصوغها الخ · فعلامَ هذه الضوضاء الصرفية كلها · تاكدون ان تلميذاتكم يحفظن قواعد الصرف ولا ينسينها ولكن تاكدوا ايضاً انهن لا يستفدن منها في المستقبل شيئاً لانه لم يُستفد منها قط · اما البيان فلا اقول فيه ما قلته في الصرف · ولكن نجاحهن فيه موكول للاتفاق

وانتم تعلمون انني لم اتكلم هنا بعد الا عن التلميذة التي في الثانية عشرة من العمر ولكني اذا تقدمت من التلميذات الاكبر سناً رايت هناك غرائب جديدة . فهناك شروح مسهبة عن الصناعة وتاريخ المعاهدات التجارية وارتقاء الافكار الذيموقراطية ودرس شيء من الحقوق والهندسة والمغنطيسية والكهربائية وعلم النور والبصريات والحوامض المتبخرة والحوامض التي لا تتبخر بالنار وعلم التشريح الحيواني والنباتي . وهناك ايضاً الاقتصاد السياسي والبيتي وهذا العلم استحسنه لهن كثيراً . ثم علم حفظ الصحة وهذا استحسنه من كل قلبي . اما الطبخ فانهن لا يتعلمن من اصوله الا نزراً يسيراً على حين ان الفتيات الانكليزيات يتعلمن الطبخ ويمارسنه في كل يوم احد بعد القيام بامثولة الاحد . وكذلك كان في فرنسا في عهد الملكية فان بنات الامراء كن يتعلمن الطبخ عملياً في المطابخ كل واحدة في نوبتها كما ترون ذلك مذكوراً في تاريخ حياة الاميرة دي ليني

ولكن ما تصنع الطالبات بهذه الاصول والفروع كلها وهل يقدرن على فهمها حق الفهم هنا استشهد بكلام للمسيو مانو بيل المفتش العام للكليات الموكول اليه بناء على وظيفته هذه ان يرئس بعض حفلات الامتحان التي تجري في مدرسة الفنون . فانه شهد بشان عقول الطالبات اللواتي حضر امتحانهن الشهادة التالية قال « ان تلميذاتنا اميل الى المسائل اللغوية والصرفية منهن الى البيان والنقد . وذلك لان تعليمهن القانوني يشبه في اكثر الوجوه التعليم الابتدائي الذي تشغل المبادىء الصرفية فيه مكاناً اوسع من المكان الواجب ولذلك ترى عقولهن تنظر الى قشور الامور لا الى البابها فيشتغلن بالثوب اللغوي الذي يغطي الفكر عن الجسم الحقيقي الذي هو ضمن ذلك الثوب »

وقال في موضع آخر « ان افكارهن تكون على الغالب مطلقة لا شخصية واذا اكدن امراً فانهن يؤكدنه من غير برهان . واما المباحث التي يجب فيها الترتيب والاتساق والسير فيها باتصال دون انقطاع الى غرض معلوم فانهن يخرجن فيها احياناً عن دائرة الموضوع خروجاً يكون شروداً حقيقياً . وهن اذا قلن فانما يقلن عن تاثر لا عن مبدأ راسخ في نفوسهن . ويشعرن بالامور شعوراً جيداً ولكنهن يحكمن فيها حكماً ناقصاً . وانظارهن اكثر اتجاهاً الى تفاصيل الامور منها الى اجمالها فكأن فيهن ضرباً خاصاً من قصر النظر . اما الفلسفة فان اقدامهن تزل فيها لاول خطوة »

***

انتهى كلام المسيو مانو بيل وكلام الفيلسوف جول سيمون . وكأن هذا الخطأ الذي

يشير الفيلسوف الى وجوده في طرق التعليم الفرنسوية موجود في كل مكان · ففي كل مكان تجد المدارس ساعية لتعليم الاناث كتعليم الذكور كانها تقصد جعل النساء رجالاً · وفي كل مكان تجد المعلمين والمعلمات يستفرغون وسعهم في حشي عقول صغيرات الطالبات وكبيراتهن بالصرف والنحو و بدروس لا توسع دائرة العقل ولا تنشئ الاخلاق الجميلة ولا تضع في نفس الطالبات اساس الادب والفضيلة ولا تُعدها لوظيفة الام والزوجة في الهيئة الاجتماعية بل تضعف ذاكرتها و بنيتها وتقتل وقتها وتُكره المدرسة اليها وتذهب بجميع اتعابها

ومع ذلك فهذه الابنة التي يُساء تعليمها الى هذا الحد هي ام العائلة وحجر الزاوية وسلم الارتقاء في الهية الاجتماعية · هذه الابنة التي يساء تربيتها وتُنهك قواها بلا جدوى ولا فائدة انما هي مربية النسل وقائدة الانسانية · فما اسعد الانسانية والهيئة الاجتماعية يوم يُصلح الناس تربية البنات بحسب الطرق التي يشير اليها الفلاسفة والعقلاء وما لها اعدادهن لوظيفتهن الشريفة الانثوية التي هي فوق وظائف الملوك والامراء والتي جعلتها عذراء منهن منذ نحو الفي سنة تمس درجة الالوهية

كلمات زراعية

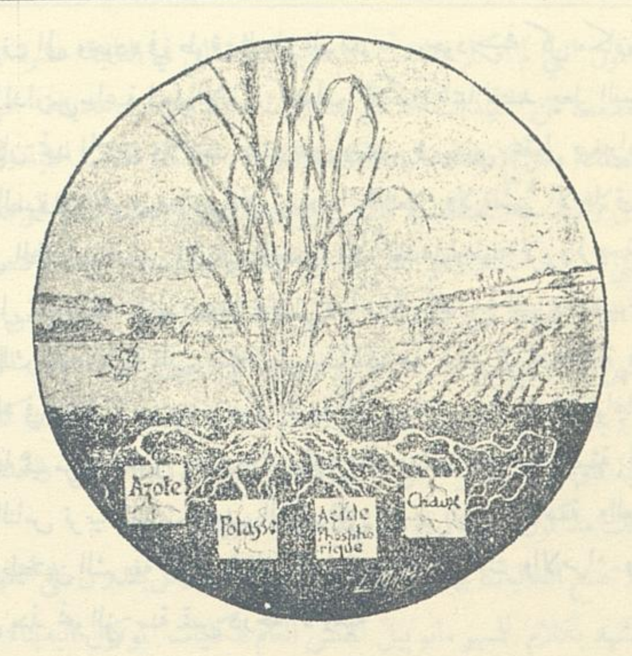
شذرات وفوائد زراعية لا يخلو الوقوف عليها من لذة وفائدة

غذاء النبات

كيف يتغذى · ما هو غذاؤه

اذا مررنا في حقل مزروع اعجبنا بنضارته وخضرته واستغر بنا عمل هذه الكيماوية الشهيرة المسماة ارضاً التي نلقي فيها بزرة صغيرة فتردها لنا نبتة كبيرة او شجرة عظيمة · ولكن لا يوجد بيننا اناس كثيرون يعلمون كيف ينمو النبات في الارض وما هي المواد التي يتخذها غذاء له · ولذلك نلخص مقالة بهذا الشان نشرتها مجلة « المطالعات العامة » الفرنسوية فانها لا تخلو من فوائد للزراع نوجه انظارهم اليها

✻ المواد التي يتالف منها غذاء النبات ✻ اذا اردت جمع المواد التي يتالف



كيفية امتصاص النبات غذاءه من الارض · وغذاوه اربعة مواد كما ترى في الرسم · الاول الكلس (الجير) والثاني حامض الفوصفوريك والثالث البوتاس والرابع الازوت

منها غذاء النبات في باطن الارض رايتها اربع كما ترى في الرسم وهي : الازوت والحامض الفوصفوريك والبوتاس والجبر (الكاس)

اما الازوت فوظيفته تقوية النبات وانماؤه من الخارج وتلوينه بلون جميل فكانه خمر يتشدد به قلب النبات · واما الحامض الفوصفوريك فهو مركب من الاوكسيجين والفصفور ووظيفته انماء النبات من الداخل وهو منه بمثابة الخبز من الانسان · واما البوتاس فهو مغذٍ شديد كاللحم · واما الجير فان خشب النبات يتالف منه كما ان عظامنا مؤلفة منه ايضاً

هذه هي المواد الاربع التي يتالف منها غذاء كل نبات · ولكن لا يُشترط ان تكون موجودة في الارض بكميات متعادلة · فان البنجر مثلاً يعتمد في غذائه على الازوت بالاكثر فهو لا يهمه اذا كانت المواد الاخرى ناقصة · والكرمة تعتمد على البوتاس فيجب ان يكون بكثرة في تربتها وان نقصت المواد الاخرى وهلمَّ جرًا · فالسر العظيم في خصب النبات ونموه انما هو اذًا اعطاء كل نبتة او شجرة الغذاء التي هي مستعدة له ومفتقرة اليه

﴿ فقر الارض وطريقة تعويض خسارتها ﴾ ومعلوم ان الارض هذه الام العظيمة قد انقضت عليها القرون الطوال وهي تغذي بحنو ابنها الانسان فلا بد ان تنفد خيراتها منها . فماذا يصنع الانسان حينئذٍ

عليه ان يعوض الارض ما فاتها اي ان يلقي فيها سماداً يعيد اليها المواد التي امتصتها نباتاتها . فالسماد اذاً هو اهم حاجات التربة والزراعة

﴿ السماد الطبيعي ﴾ ولكن السماد على الغالب يكون غالي الثمن فضلاً عن كونه انواعاً لا تحتوي كلها المواد اللازمة للارض . لان السماد المعني هنا وهو الطبيعي يكون غالباً مؤلفاً من الماء و بعض الخرق البالية والمواد التي يمكن تركيبها من الهواء والماء فقط وشيء من المادة المعدنيـة او الحامض الفصفوريك . اما البوتاس والجير والازوت فلا وجود لها فيه ولذلك يكون السماد الطبيعي ناقصاً

وفضلاً عن ذلك فان النباتات لا تطلب غذاء واحداً كما تقدم بل ان كل صنف منها يطلب غذاء مخصوصاً . هذا يطلب بالخصوص الفوسفات وذاك الازوت وهلم جراً . فكيف والحالة هذه يمكن اعطاء الارض ما تطلبه من هذه المواد دون اسراف فيهـا او امساك . ان السماد الطبيعي لا يفيد الفائدة المقصودة كما راينا . فهل قضت الطبيعة اذاً ببقاء الارض فقيرة بعد نفـاد مادة غذاء النبات منها . ام وجد العلم مادة هذا الغذاء

﴿ السماد الصناعي ﴾ نعم قد وجد العلم المواد اللازمة لغذاء النباتات كل واحدة حسب مطلوبها . وقد عرضت هذه المواد في هذا العام في قسم خاص في معرض باريز يسمونه « قسم السماد الصناعي » وقد قال علماء الزراعة في كلامهم عن هذا القسم انه مصدر حياة زراعة العالم بل حياة الانسانية والمدنية كلها اذ لولا انواع السماد التي فيه لهرمت الارض واصبحت في وقت قريب عاجزة عن تغذية ابنائها

وانواع هذا السماد اربعة كل واحد منها يقابل مادة من مادة غذاء النبات ويتحول في التربة اليها . الاول الفوسفات . والثاني نيترات الصودا التي تتحول ازوتاً تحت جذور النبات . والثالث الكاينيت الذي يتحول بوتاس . والرابع سلفات الجير او فوسفات الجير او الحامض الفصفوريك يتحول في الارض جيراً نباتياً

اما نيترات الصوده التي يخرج منها الازوت فانها ترد من بيرو في اميركا حيث يوجد

لها مناجم واسعة تكفي العالم كله وقد ملأت الى الآن جيوب اصحابها ذهباً · فشانها في ذلك شان معادن الذهب وقد جرى اكتشافها منذ ٢٥ عاماً

واما الكلس فكان المتقدمون يعرفون فوائده الزراعية فيمزجون التربة بشيء من التراب الكلسي او الجص (الجبسين) · وقد اكتشف المتاخرون اكتشافاً غريب الفوائد والتاثير في تسميد الارض بالجير وهو احراق عظام الحيوانات وذر رمادها على الارض فان تربتها تخصب خصباً ما وراءه خصب

واما الفوسفات فانه يُستخرج من معادن توجد في الارض · ويقال ان لجنة انتدبها قلم المساحة في العاصمة قد وجدت في الواحة الداخلة وما يليها من اطراف مصر وغيرها كثيراً من معادن الفوسفات فارتاح كبار الزراع الى هذا الاكتشاف لانه يتيح لهم شراء هذه المادة بثمن بخس اذا استخرجت من معادنها

﴿ المواد المهيئة والمواد المغذية ﴾ وهذه المواد الغذائية النباتية قسمان قسم يغذي وقسم يهيء الغذاء · والمادة المهيئة هي الجير فانه لا يغذي النبات ولكنه يحل البوتاسه التي في الارض ليقدمها له فكانه طباخ يهيئ له غذاءه

على ان السماد الصناعي لا يكفي لتسميد الارض لانه اذا وضع فيها وحده من غير السماد الطبيعي جعلها محجرة وبذلك يخنق جذور النبات ويمنع وصول الهواء والماء من سطح الارض اليها · ولذلك يشير علماء الزراعة بمزجه بشيء من السماد الطبيعي

وهذه الاسمدة موجودة في جميع البلاد الزراعية فجدير بالزراع الذين لا يألون جهداً في خدمة مزروعاتهم ان يهتموا بها لانها تضاعف خيرات ارضهم عشرات من المرات · وقد نشرنا في هذا الفصل رسماً يمثل نبتة من القمح وهي تمتص من الارض غذاءها من المواد الاربع التي تقدم ذكرها الجير والبوتاس والازوت والفوسفات فمنها يرى الانسان كيف يتغذى النبات وبماذا يتغذى وما هي المواد التي يتغذى بها

شؤون نسائية

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

اذا اردتم اصلاح الهيئة الاجتماعية فابدأوا
باصلاح العائلة · والعائلة قاعدتها
المرأة ففي اصلاح المرأة اصلاح الهيئة كلها

رأي الرجال في النساء

اي شيء في النساء هو اكره الى الرجال

١

حضرات الفاضلين صاحبي الجامعة الغراء

ورد في باب الشؤون النسائية في الجزء ٩ و١٠ من السنة الثانية نبذة تحت عنوان (اي شيء في الرجال اكره الى النساء) · نقلاً عن احدى المجلات الاوربية التي القت على قارئاتها هذا السؤال · فاجبن ان الصفات التي يتفقن على كراهتها في الرجال هي « السكر · والاثرة · والدناءة والخداع · والمقامرة · والجبانة · والادعاء · والكسل · والقساوة · وكتمان عيوبهم » وقلتم بودكم ان تعلموا اي شيء في النساء هو اكره الى الرجال فنحن نجيب · ان الامور المكروهة بالاكثر في النساء الى الرجال عشرة وهي اولاً عدم الاخلاص او النشوز وقد ورد على ذلك في الكتب المنزلة واقوال الحكماء ما لا يحصى وهي المسالة الهائلة التي يجوز من اجلها القتل ويبرأ القاتل في شرائع الانام · ثانياً البلادة وقلة الفهم التي هي نتيجة قصر الادراك ثالثاً الطيش والحمق والافراط في الضحك الذي هو دليل الخفة والجهل وسبب اسقاط هيبة المرأة وكرامتها رابعاً اهمال البيت والتبذير وعدم النظافة خامساً عدم القناعة سادساً محبة الذات سابعاً خشونة المعاملة ثامناً التصلب بالرأي اي العناد تاسعاً كثرة الكلام والثرثرة الفارغة عاشراً عدم التقوى

(الجامعة) تمنينا عرضاً في احد الاعداد الماضية ان يذكر لنا الرجال الصفات التي هي اكره الصفات في النساء اليهم وذلك في اثناء كلام مختص بهذا الشان فاجتمعت لدينا اجوبة لم نر بداً من نشر بعضها ارضاء لاصحابها وافادة للقراء

ولا يجهل حضرات القراء اننا لا نتحمل مسئولية ما ننشره من غير قلمنا في ابواب المجلة واذا وجدوا فيه بعض الهزل فالهزل مستحب بعد الجد الكثير

هذه هي الخصال التي ارى انها اكره الى الرجال واني اترك الافاضة في بيان مضارها للجامعة منبع الادب وللذين تلذ لهم الكتابة في هذه المواضيع الادبية من كرام القراء

القناطر الخيرية · نسيم فهمي

معاون المحطة الاميرية

٢

اذا كنتُ متزوجاً فكل نقيصة من امراتي استطيع ان اصلحها · هبها جاهلة حمقاء كثيرة الكلام كذوبة مخادعة مبذرة مهملة : كل ذلك استطيع ان اصلحه اذا كنتُ زوجها على شرط ان لا تكون مدعية اي معتقدة بانها ارقى مني واكثر فهماً · فالادعاء اذاً هي الصفة الكبرى التي اكرهها في النساء

يافا · احد القراء

٣

لا اذكر ماذا اكره في النساء ولكني اذكر ماذا احب فيهن · فانا احب فيهن كونهن قد خلقن في هذا العالم كزهرة لتزيين هذه الحياة · ولذلك فكل شيء يخلو منهن يكون بارداً مظلماً وكل شيء يضعن ايديهن فيه يصبح منيراً محبوباً · فكأنهن يمثلن على الارض مبدأ الجمال

ثم اني احب في النساء معيشتهن العائلية · فان في العائلة تنمو الفضائل البيتية · من العائلة نشأ اعاظم الرجال الذين مدنوا العالم بما اقتبسوه من انفاس امهاتهم · في العائلة الراحة الوحيدة على هذه الارض · من العائلة فقط يجري للفقراء والضعفاء والمظلومين ينبوع الاحسان ودموع الشفقة والرحمة · والعائلة هي المراة فالمراة اذاً تمثل في هذه الحياة مع مبدا الجمال الذي مرَّ ذكره مبدا الخير والفضيلة والراحة والتضامن البشري لجميع بني الانسان · وهذا الذي احبه في النساء

الاسكندرية · محب لا يكره

٤

لا اكره شيئاً في النساء بل كل ما فيهن من الصفات محبوب اليَّ لاني اعرف ان الشيء القبيح لا يصنعنه قصداً وانما لجهلهن بقبحه لانهن معدن كل شيء حسن · فبدلاً من كراهتنا القبيح فيهن يجب علينا ان نسعى لاصلاحه وان نلوم انفسنا لاننا تركناه ينعرس

فيهن . فالحق اذاً في كل الامور على الجنس الخشن لا على الجنس اللطيف

القاهرة منى حنا

٥

المرأة كثمرة الجوز الخضراء فيها ما هو مرٌّ مكروه وفيها ما هو حلو محبوب . والواحد يقابل الثاني فلا تذم الكريه ولا تمدح المحبوب

الاسكندرية قنوع

٦

لا احب شيئاً في النساء ولا اكره شيئاً

الاسكندرية حجر اصمُّ

﴿ الجامعة ﴾ ونحن ننشر في الجزء التالي تتمة هذه الافكار اذا اجتمع لدينا منها ما يستحق النشر وكانت على هذا الاختصار

جمال وجوه السيدات

من يقرأ ومن يسمع

حضرات الفاضلين صاحبي الجامعة الغراء

قرأت في مجلتكم الجامعة الغراء في باب " الشؤون النسائية " فصلاً في جمال وجوه السيدات نشرته الكونتس دي سورجر في احدى المجلات الصحية . فجاءت نصيحتها فيه خالصة لا تشوبها غاية غير غاية الاخلاص في منع سريان هذا الداء الوبيل داء الصباغ والدهان والبودره الذي يكاد لسوء الحظ لا يخلو منزل في هذه الايام من جراثيمه المضرة لاسيما بعد ان جرينا شوطاً بعيداً في ميدان هذه الحرية التي ظننا انها اساس التمدن والعمران وشواهد حضرة الكاتبة عن اضرار الصباغ والدهان والبودره على كثرتها نراها كلها صحيحة معقولة ولا نجد من ينقضها او يدحضها الا كل متزلف الى النساء راغب في بياض الوجه . على اننا لو تركنا كل هذه النصائح واغضينا الطرف عن تاثير اضرار الصباغ في وجوه السيدات وتمسكنا بواحدة من نصائح حضرة الكاتبة حيث قالت عندما تكلمت عن اضرار البودره" اما الوجه الادبي فهو جعل النساء متشابهات في المدينة الادبيات وغير

الاديبات لان غير الاديبات يكثرن من وضع البودره وتزيين الوجه فاذا صنعت الاديبات مثل ذلك ظُنت مثلهن وربما اعتدي عليهن » لكفى به برهاناً قاطعاً على وجوب ترك هذه العادة المستقبحة التى لا يدفع الفتاة اليها الا سوء التربية وترك حبل ارادتها على غاربها

ولست بمبالغ في القول ان بعض السيدات اللواتي قد اصبن بهذه العلة — علة الدهان اذا قرأنَ هذه النبذة التي تضمنت اجلّ النصائح وافضلها لا يلبثن ان يعترفن ضمناً بكل ماجاء فيها من وجوب التقريع ولوم كل من تتبع هذه العادة التي سرت اضرارها في اغلب بنات اليوم ونسائه . بل ربما حاولت بعضهن ترك هذه العادة الذميمة والفرار من سلطة احكامها الثقيلة لولا ان وجهها وا اسفاه قد لطخته يدها فشوهته بسموم تلك الالوان فاصبحت مُكرهة على متابعة دهانه في كل صباح ومساء لتستر تلك العيوب التي لم يجنها غير الطيش والغرور

على انني اريد من باب التفكهة ان اطرح بعض اسئلة في موضوع الصباغ والدهان والبودره . حتى اذا وجدتُ من بين السيدات والفتيات البارعات في فن التصوير .. من يفحمني بالجواب سلمت بوجوب استعمال هذه الالوان الباهرة للابصار .. وكنت ولو ثقل على طبعي اول من ذهب الى السوق وعاد لامراته باحمال منها مؤونة سنين لتوالي الدهن والصقل الى ما شاء الله والا فاكون من راي حضرة الكاتبة في مضادة جميع النساء اللواتي يستعملن هذا الدهان وابقى الى آخر نسمة من حياتي كارهاً كل امراة وبنوع خصوصي كل فتاة تصبغ وجهها لتزينه بتلك المواد السامة

اما اسئلتي [illegible]

اولاً — لماذا تضع الفتاة الالوان على وجهها اذا كانت بيضاء البشرة

ثانياً — اذا كانت الفتاة ذات لون اسمر طبيعي جميل ما الموجب الى هذا البياض الظاهر الذي تكذب فيه على نفسها وعلى الناس وعلى خالق ذلك اللون

ثالثاً — اذا عذرنا الفتاة على صبغ وجهها لتستعين به على خداع الشبان . فما عذر المتزوجة

ثلاثة سوآلات القيها على مسامع السيدات والفتيات وانا غير هياب من سخطهن ولا غضبهن عليّ لانني (ولا اقول من كمال حظي وتمام سعدي) متزوج وامراتي بفضل حرية هذه الايام سائرة على طريق التمدن الذي سيجرنا الى الخراب قريباً ... وتابعة لضروب المودة وفنونها ولها في كل حديث منها حديث أطول من مصيبتي فيها . وهي بفضل عقلها الكبير — قياساً الى عمرها — لا تترك شيئاً من اسباب الزينة والبهرجة يفوتها كل ذلك

لتوهمني انها جميله وانها بيضاء الوجه ٠٠٠ وقد خفي عنها ان هذا البياض طالما سود وجهي بين الناس ٠٠٠٠

ولحضرات السيدات حرية الدفاع والاستعانة ببعض الكتبة الادباء الذين يُظهرون تمام رضاهم عن مشاهدة هذه الوجوه ذوات الالوان ٠٠ ولا عجب فانني اعرف كثيراً من هولاء الادباء هذا يحرض خطيبته وذاك يدفع قرينته او امرأته الى وضع الاحمر والابيض ليبرزن في جمالهن الاصطناعي كالاصنام المتحركة وسبحان مفرق العقول

الاسكندرية في ٥ اكتوبر سنة ١٩٠٠ متزوج قليل البخت
حنا نقاش

باب تدبير الصحة

طريقة لمعرفة رطوبة المنازل

الرطوبة في المنازل من اعظم اسباب الامراض فاجتنب الرطوبة ما امكنك اجتنابها واذا اردت ان تعرف هل غرفتك رطبة ام لا فضع فيها كيلو غراماً من الكلس (الجير) ثم اقفل نوافذها وابوابها جيداً واتركها مدة اربع وعشرين ساعة مقفلة ثم افتحها وزن الكلس فاذا زاد وزنه اكثر من عشرة غرامات اي اذا زاد اكثر من واحد في المائة مما يكون قد امتصه من الهواء فيكون منزلك رطباً

تغيير ملابس الصيف

حينما يشتد الصيف ويتكاثر عرق الجسم يجدر بالانسان ان ينزع ثيابه كل يوم ٠ واذا نزعها فلا يجب عليه غسلها فان هذا الامر يطول بل يمكنه الاقتصار على تعليقها في الشمس والهواء فيزول ما كان قد علق بها من مفرزات البدن ٠ اما اذا بقيت على البدن فان هذه المفرزات تعود اليه من مسامه فربما جرت كثيراً من الامراض

غذاء المرضعة

يصف بعضهم للمرضعة ان تشرب الخمر والجعة ليزداد لبنها ٠ ولكن زيادة لبن المرضعة

لا يكون دائماً دليلاً على تحسنه لان العبرة بكيفيته لا بكميته · والاجدر بالمرضعة ان لا تشرب الا لبناً (حليباً) فانه مفيد جداً لدرها اما الخمر فانها تجعل في لبنها طعماً كاوياً يؤذي معدة الطفل لما هي عليه من اللطافة في بدء امرها · ويجب ان تجتنب المرضعة المآكل المالحة الكاوية وان لا تتناول خلاً ولا طماطم ولا ثماراً حامضة · واحسن غذاء لها الثمار الناضجة والمطبوخة واللبن والبيض واللحم وما اشبه

اصلاح الزبدة والسمن بعد فساده

اذا فسدت الزبدة والسمن ففسادهما يكون ناشئاً عن تولد حامض البوتيريك فيهما · فطريقة اصلاح هذا الفساد غسل الزبدة باللبن الجديد لان ذلك الحامض ينحلُّ في اللبن ويذوب · ثم بعد ذلك تغسل بشيء من الماء البارد وتعصر بتأنٍ فيزول فسادها

تقطيع البصل وازالة رائحته

تتضايق ربات المنازل او الخادمات من تقطيع البصل لانه يتطاير الى عيونهن شيء من عصيره فيكويها وينزل دموعهن · فالطريقة لاجتناب ذلك سهلة جداً وهي ان تقطع البصل تحت الماء في اناء مملوء ماء فهو يمنع العصير ان يتطاير فضلاً عن انه يحفظ اليد من رائحته ايضاً

واما طريقة ازالة رائحة البصل او الثوم من الفم فهي تناول القهوة · واذا لم تنجح نخذ شيئاً من البقدونس وامضغه على ان الطريقة المضمونة هي ان تاكل شيئاً من الفول الاخضر او من البنجر المشوي تحت الرماد

البالونات التي يلعب بها صغار الاولاد

يباع في الاسواق بالونات صغيرة يلعب بها الاولاد · على ان هذه البالونات قد تكون مملوءة بمواد سامة استعملت لنفخها فيجب الحذر من تركها في غرف النوم او ترك الاولاد يدنونها من وجوههم · وقد اخذت الجمعية الطبية في باريز تبحث لمعرفة المواد التي تنتفخ بها

طريقة لمنع التبويل بالليل

تشكو اكثر الامهات من ان اطفالهن يبولون في فراشهم في الليل فالطريقة لمنع ذلك ان ينام الولد وقسمه العلوي اي صدره و بطنه اوطا من قسمه السفلي اي رجليه و بذلك يتعذر مرور البول في القناة البولية ويجب تكرار ذلك عدة ايام حتى تزول هذه العادة

ازالة رائحة الفم

اذا كانت رائحة الفم كريهة فذلك يكون لسببين اما ان يكون الفساد ناشئاً عن الفم نفسه او عن المعدة . فاذا كان عن الفم فيجب تنظيف الاسنان دائماً بمسحوق الفحم ممزوجاً بشيء من روح النعنع واذا كان من فساد في المعدة فتناول مسهلاً او مقيئاً

باب التقريظ والانتقاد

✻ اسرار البلاغة ✻ نشر حضرة صديقنا العالم الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب جريدة المنار اعلاناً فحواه انه عزم على طبع كتاب اسرار البلاغة لامام البلاغة الشيخ عبد القاهر الجرجاني " وعليه هامش يشرح ما لا بد من شرحه وذلك تحت نظر اعلم البلغاء وابلغ العلماء صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية الذي يقرأ الكتاب درساً في الجامع الازهر الشريف" وقد جعل قيمة الاشتراك في الكتاب عشر غروش صاغ من الورق الناعم المتوسط و١٥ غرشاً من اجود الورق وهو يطلب من ادارة مجلة المنار فنشكر له هذه الخدمة الجليلة للغة العربية ولا ريب عندنا ان طلاب البلاغة يقبلون اشد اقبال على هذا الكتاب الجليل

✻ المناظر ومجموعتها ✻ المناظر جريدة ادبيه تهذيبية وطنية تصدر مرتين في الاسبوع في سان باولو من اعمال البرازيل لحضرات صاحبيها الفاضلين حبيب افندي حنون ونعوم افندي لبكي . وهي رشيقة العبارة معتدلة المشرب اعتدالاً يشهد لمحرريها بالفضل والعقل . وردتنا من ادارتها مجموعة لطيفة الاسلوب مطبوعة طبعاً حسناً على ورق جيد وهي تحتوي بعض الفصول والشذرات المهمة التي نُشرت في المناظر في خلال العام وتصدرها الادارة في ٦ ايلول من كل سنة تذكاراً للامتيازات التي مُنحها جبل لبنان . فنحن نحث الادباء على اقتناء هذا الكتاب فان فيه من الفصول الرقيقة والمقالات المفيدة والامثال والحكم ما يشوق الى المطالعة

والمناظر باعتدالها وخوضها المباحث الوطنية المفيدة جديرة باقبال الادباء عليها فنحن نهنئها بخطتها ثم نغتنم هذه الفرصة لشكرها على ما تفضلت به على الجامعة

✲ النجاة من الضيم ✲ رواية ادبية لحضرة الاديب الياس افندي عازار الخوري وهي سهلة العبارة حسنة الاسلوب تُطلب من محل الخواجا نقولا دياب في الثغر ومن مكتبة الهلال في مصر وثمنها عشرة غروش صاغ فنرجو لها الرواج

✲ مائة مسالة ومسالة ✲ صدرت الرسالة الثالثة من كتاب مائة مسالة ومسالة لواضعه حضرة الاديب رشدي افندي كمال في مصلحة السكة الحديدية فنثني على اجتهاده ونشاطه

باب الاخبار العلمية

✲ اكتشافان جديدان بشان الانجيل ✲ ابتاع من اسواق القاهرة في الشتاء الماضي العلماء سبيجلبرج وشميد وجاكوبي من اساتذة كلية سترسبورج اوراقاً من البردى المصري فترجح لديهم بعد فحصها ان فيها شذرات من انجيل قبطي كُتب في القرن الثاني للميلاد اي انه سابق للنسخة الموجودة في الفاتيكان . ولم ياذن لهم البرنس هوهنلوه حاكم الالزاس واللورين بان يبتاعوا هذه الاوراق لكلية سترسبورج الا بعد فحصها فحصاً دقيقاً

ومما لا يقل عن ذلك اهمية ان الاستاذ غريغوري من اساتذة كلية ليبزيك اكتشف في العام الماضي اكتشافاً مهماً مختصاً بالاصحاح الثامن من انجيل يوحنا . فانه قد ورد في هذا الاصحاح ان الكتبة والفريسيين جاءوا السيد المسيح بزانية واوقفوها في الوسط ثم سالوه عن عقابها فقال لهم: من كان منكم بلا خطية فليرجمها بحجر ثم انحنى واخذ يكتب باصبعه على الارض . وبعد ذلك انتصب قائماً فلم ينظر احداً سوى المراة . كذا ورد في الانجيل . فماذا كتب يسوع على الارض . هذا امر لم يرد عنه اشارة في كتاب

ولكن الاستاذ غريغوري المذكور يقول انه اكتشف في اوراق قديمة وجدها في جبل اتوس واثينا وديسو ان يسوع اخذ يكتب باصبعه على الارض خطايا كل واحد من الواقفين مع اسمائهم . فكتب " عبداد قتل في القفار صديقه مودار وهوران خدع امراة يونان واخرجها من بيتها ومونان اكره امراة ارفيد على الفجور " فلما راى الواقفون انه سيكشف اسرارهم كلها خرجوا هاربين . وقد روت خبر هذين الاكتشافين مجلة المجلات الفرنسوية

﴿ الاسلاك البرقية ودأوها ﴾ عرض المسيو رنس من مهندسي مصلحة التلغراف الفرنسوية على المجمع العلمي الفرنسوي مسالة علمية مختصة بفناء الاسلاك التلغرافية . فانه ظهر له من ابحاثه الكثيرة ان الاسلاك التي يجري عليها مجرى كهربائي مستمر الجري الى جهة واحدة يصيبها ضعف قد ينتهي بتلفها خلافاً للاسلاك التي يجري عليها المجرى الكهربائي ذهاباً واياباً كأن التجويف الذي يحدثه فيها مجرى الذهاب يزيله مجرى الاياب . ولذلك يجب ان تكون المخابرة على الاسلاك مزدوجة اي ذهاباً واياباً

﴿ الحمير المصرية ﴾ تكلمت جريدة وزارة الزراعة الفرنسوية عن حمير مصر فقالت ان مصر اهم البلاد التي يصدر منها الحمير والحمار فيها يقوم بخدم جليلة ولا سيما في السكك الضيقة والآكام الموازية للنيل . وهو صنفان الابيض السوداني وهو احسنها والاعتيادي وهو الاسمر . والاول يُتخذ لركوب الاكابر وربما بلغ ثمنه من الف فرنك الى ١٢٠٠ فرنك (كذا) اما الحمير الاعتيادية فثمن الواحد منها من مائة الى ١٢٥ فرنكاً ويقدرون عدد الحمير في مصر بمائة واربعين الف حمار وقد صدر منها الى فرنسا فعاشت فيها وتناسلت . ثم وجهت هذه الجريدة انظار الحكومة الى استعمال هذه الحمير في املاكها في الصين ومدغسكر لانها نافعة في البلاد التي هي كثيرة الوعور والجبال

﴿ خطر الترامواي ﴾ هبت زوبعة في كونكتيكوت من اعمال انكلترا الجديدة فاقتلعت شجرة والقتها على سلك الترامواي الكهربائي . واتفق وجود سلك تلغرافي بجانب سلك الترامواي فما مسته اغصان الشجرة حتى سرت كهربائية سلك الترامواي اليه وانتقلت الى اقرب مكاتب التلغراف فاضرمت النار فيه بسرعة البرق ففرّ المستخدمون ولو لم يزيحوا الشجرة عن السلكين لما قدر احد على اخماد النار

﴿ احدى عجائب التنويم المغنطيسي ﴾ اتى طبيب اميركي في كلسفكتون في هذا العام بفتاة تُدعى مس مود ماتيوس فنومها نوماً مغنطيسياً وامرها ان لا تفيق من نومها حتى يامرها بذلك . ثم جاء بتابوت ووضعها فيه وهي نائمة واخذ التابوت الى المقبرة فحفر لها حفرة ووضع التابوت فيه ثم طمر الحفرة بالتراب وراح لسبيله . وبعد مدة عاد الى القبر ونبش الحفرة واستخرج التابوت امام الناس فوجدانها ما زالت مستغرقة في النوم فانحنى عليها وقال لها كلمتين في اذنها يامرها بهما ان تنتبه وتنهض ففتحت الفتاة عينيها في الحال ونهضت من تابوتها وسلمت على الذين حولها . قالت المجلة التي روت هذا الخبر ولو صنع هذا الطبيب مثل

ذلك في بلادنا لالقت الحكومة القبض عليه في ساعة واحدة

﴿ النحل لحمل الرسائل ﴾ كانوا يستعملون الحمام الزاجل في الحروب وغيرها اما الآن فانهم اخذوا يستعملون النحل ايضاً . وذلك انهم يكتبون بخط دقيق جداً على ورقة دقيقة جداً ويلصقونها بالنحلة فتحملها النحلة وتقطع السهول والجبال عائدة الى قفيرها الذي اخذت منه . وهي تفضل الحمام من حيث انها تمرّ دون ان يراها العدو ولذلك فانه لا يتمكن من صيدها

﴿ اكتشاف داء للكتاب ﴾ اكتشفوا داءً جديداً يصيب الكتاب الذين يُطالب منهم ان يكتبوا في وقت محدود شيئاً كثيراً محدوداً فان الاسراع في الكتابة الى ذلك الحد يهيج الفكر ويجهد الدماغ فربما اصيب صاحبه بما لا تحمد عاقبته . وهم يشبهون الكاتب المسرع الى هذا الحد بالصاعد جبلاً ركضاً فانه لا يلبث ان يفقد قواه كلها . وهذا القول يصدق على كتاب الجرائد اليومية الذين يجب ان تكون اقلامهم كالبرق في خفتها وسرعتها وليس له من دواءٍ غير التاني لاراحة اعصاب الدماغ واخماد ثورة الفكر

﴿ سبب رحلة الامبراطور غليوم الى فلسطين ﴾ ذكرت احدى الجرائد الاميركية ان السبب في رحلة الامبراطور غليوم الى فلسطين هو ان الاطباء اشاروا على الامبراطورة بالسياحة وتبديل الهواء لانها مصابة بالسل . وقد ارسل ولي العهد للخدمة العسكرية خارج برلين لانه مستعد استعدادها لهذا الداء اذ لم يسبق ان ولي عهد خدم في العسكرية خارج برلين . وقد كان لهذه الاشاعة دوي شديد . ومما جعل الناس يصدقونها ما ذكرته احدى الجرائد الالمانية من ان الامبراطورة اصبحت نحيلة الجسم وقد اصفر وجهها بعد جماله وروائه . فعسى ان لا يكون هذا الخبر صحيحاً لان هذه الامبراطورة الفاضلة من اعقل الامبراطورات . وغير بعيد ان يؤولوا غداً سفر ولي عهد المانيا الى فلسطين كما اولوا سفر ابيه . اما ما روته بعض الجرائد الاوربية من ان الحكومة العثمانية طلبت من امبراطور المانيا ان يؤجل سياحة ابنه لان اهالي سوريا وفلسطين مستاؤون من الالمان فتخشى ان يقوموا بمظاهرة ضده فهو افتراءٌ محض على ادب اهالي سوريا وفلسطين لانهم ارفع ادباً من مخاشنة ضيوفهم حتى ولو كانوا مستائين منهم

نوجه الانظار الى كلمات على ظهر المجلة

عادات واخلاق

نشر في هذا الباب نتفاً في العادات والاخلاق يكون في مطالعتها
لذة وفائدة للقراء

ملاحظات صحافية

الدفاع عن النفس واجب على الانسان حتى ان القانون يجيز لك القتل دفاعاً عن نفسك ضد من يطلبها · ومن المبادئ الفلسفية المقررة لدى جميع الفلاسفة « لا تترك حقك يُداس من غير معاقبة دائسه » ومعلوم ان البشر يختلفون عقولاً واخلاقاً · فزيد يردعه عن الاعتداء عليك ان تُذكره باصغر مبادئ الادب وبكر لا يردعه الا ان تقابل اهانته بمثلها · فبناء عليه يجوز ان تحارب بالسلاح الذي يحاربونك به · اما مبدأ « من ضربك على خدك الايمن فادر له الايسر » فاحفظه للمعتدلين المنصفين الذين يعتبرون سكوتك عقلاً لا عجزاً فان هؤلاء قلما يعتدون اعتداء يثير النفس الى حد الغضب · فاذا سكت عنهم كنت رابحاً لا خاسراً

الفضل الحقيقي لا في تقريظ اعمال غيرك مثل قولك انني اؤلف لا اترجم وان جريدتي ارخص الجرائد قديمها وحديثها اي ان الشلين اقل من الاربعين والعشرة اكثر من العشرين · ولا في امتداح النفس · بل الفضل الحقيقي في ان تترك القراء يحكمون على عملك وعمل غيرك ويقابلون بينهما · والقراء الافاضل يرون ان كتابنا لا بد ان يعتمدوا على اساطين العلم من الافرنج والا زلت اقدامهم وعلموا الناس خطأ يسمونه تاليفاً فاضروا من حيث ارادوا ان ينفعوا · او انهم يعتمدون على الغير ويقولون انهم يؤلفون او انهم يكتبون فلا يفيدون · ومع ذلك فاذا قيل هذه مقالة لخصها فلان الكاتب عن نيوتن او افلاطون مثلاً وهذه مقالة الفها هذا الكاتب بهذا الموضوع فايها يُطالع العقلاء · لا ريب انهم ينبذون الثانية ويطالعون الاولى لانهم يطالعون علماً بحتاً واثقين انه غير مشوب بخطاء

اذا رايتَ اناساً يغضبون من رجل يذود عن نفسه وعن ذويه ويدافع عن مبادئه ومبادئهم بكل ما في نفسه من قوى الامانة لها فلا تعبأ بغضبهم واعلم ان ذلك الرجل يستحق صداقتك واحترامك ولو كان قوله فيك · اذ ما اقلّ الذين يكتبون عن اقتناع لا تشفياً

من اشخاص ولكن دفاعاً عن مبادئ يقررونها في نفوسهم وتكون هذه النفوس مستريحة معها

اعظم ما يتمناه عقلاء الصحافيين المسالة التالية وهي : مهما اختلفت مبادئ الرصفاء مهما تصادمت مصالحهم . مهما احتكت عواطفهم . يجب ان يذكروا انهم بشر تجمعهم جامعة اللغة والجنس والوطن فضلاً عن الرفقة الصحافية والمبادئ الادبية . فاذا ذكروا ذلك في اوقات الغضب خمدت حدتهم وكانوا احسن معاملة لبعضهم البعض . واذا زادوا على ذلك انهم نصبوا انفسهم لتعليم الناس الحقيقة والادب والاعتدال الذي هو اساس كل فضيلة ندموا على كثير من الاقوال التي قالوها

الترانسفال ظالمة ام مظلومة

ملك السلام

القيصر نقولا الشاب — والرئيس كروجر الشيخ

ولكن لما انقضت سكرة الدهشة والعجب وعلم الرئيس كروجر انه واقف لدى القيصر تحولت جرأته كلها لا الى جبن فان رجلاً مثله عرك الدهر لا يجبن ولكن الى ضعف . فاضطربت احشاؤه وصعدت الدموع دفعة واحدة الى عينيه فبسط اليه يديه وقال باكياً — هكذا تتركنا وتتخلى عنا

ولا شيء يؤثر في الشبان مثل بكاء الشيوخ . فترقرق الدمع في عيني القيصر فاومأ اليه ان يجلس ثم جلس وجلست الامبراطورة سي تاي هو ايضاً . فقال القيصر بهدوء "ما كنتَ تريد ان اعمل ايها الرئيس

فاجاب كروجر . تسالني ما كنتُ اريد . الامر بسيط جداً . كنتُ اريد ان تمدّ يمناك القادرة وتقول للذين هاجمونا لسلب بلادنا : ان السلب غير جائز في القرن التاسع عشر على مرأى من جميع الامم المتمدنة

فابتسم القيصر . وقال . ذلك ما ينطبق على مصلحة الترانسفال وحدها ولكنه من سوء الحظ لا ينطبق على مصلحة الامم المتمدنة بالعموم ولا على مصلحة روسيا بالخصوص . اما الامم المتمدنة فانها تخشى الحرب العمومية من وراء المداخلة والحرب العمومية تخرب العالم وتعيد التمدن قرناً الى وراء . واما مصلحة روسيا فهي الآن السلام . السلام قبل كل

شيء · السلام بقطع النظر عن كل شيء · وقد يقولون عنا اننا لا نحب السلام لذاته بل لان مصلحتنا اليوم فيه اذ علينا تمدين شعبنا واتمام مد سككنا · فليقولوا ما يقولون فان السلام عندنا مقدم على كل شيء مهما كانت اسباب التقديم

فقال كروجر مبهوتاً · تقدمون السلام على كل شيء ولو كان سلاماً غير شريف؟

فلمع عند هذا القول برق غريب في عيني نقولا الثاني وقال باسماً · لو يقول احد غيرك هذه الكلمة

فقال كروجر وقد علم انه تهور في قوله ولكن جلالتك تذكر مصلحة اوربا وروسيا دون ان تذكر مبدأ اوربا وروسيا · فهل المصلحة مقدمة على المبداء ايضاً

فقال نقولا كلا ليست المصلحة مقدمة على المبداء في العالم كما ان المبدأ غير مقدم على المصلحة لانهما كليهما متلازمان متفقان فحيث يكون المبدأ تكون المصلحة وبالعكس · ولا يبحث الانسان في تقديم الواحد على الثاني الا متى حدث تناقض بينهما فيقدم حينئذٍ المبدأ على المصلحة بلا جدال لان المبدأ شيء ادبي والمصلحة شيء مادي والادبي مقدم على المادي دائماً · ولكننا هنا لا نتعلم فلسفة يا كروجر ولا نعلم ادباً · فقل لي وابن لي اين التناقض بين مبداءنا ومصلحتنا · اما انتم الذين اعتديتم اولاً وقدمتم ذلك الانذار · ومبدأنا كراهة الاعتداء

ولكن ما اتم القيصر كلامه حتى دخل احد حراس الامبراطورة مهرولاً وقال البرنس شنغ في الباب يامولاتي · فقالت سي تي هو خيران شاءت الآلهة ماذا اتى به · ادخله · فدخل البرنس شنغ وهو محني الراس فدنا من الامبراطورة وسلمها كتاباً ووقف ينتظر

ففضت الامبراطورة الكتاب ولكنها ما قرأت اول سطوره حتى اخذت تبتسم ثم قالت بعد الفراغ منه · اتفاق كبير بين المانيا وانكلترا بشان حفظ استقلال بلادنا · فما اغرب هذا الاتفاق · بل ما اغرب هؤلاء الناس الذين يتفقون على حفظنا ونحن لا خطر علينا الا منهم · ثم ناولت الكتاب الى صديقها نقولا

وكان القيصر قد عبس اما كروجر فسطع في عينيه الضعيفتين برق لانه راى انه وجد حجة جديدة يدعم بها كلامه فلبث منتظراً · واخذ القيصر يقرأ وهو ساكت حتى اتى على آخر مواد الاتفاق الاربع · فطوى الكتاب ثم قام بهدوء الى مائدة هناك وتناول قلماً فكتب رقعة وطواها وختمها ثم ناولها الى الامبراطورة قائلاً · هل تامر جلالتك بايصال هذه

الرسالة الى السفارة الروسية في بكين على يد البرنس شنغ · فتناولتها الامبراطورة ودفعتها الى البرنس· فرأى كروجر على الرسالة في مرورها امامه هذا العنوان « جناب المسيو ويت وزير المالية الروسية »

وبعد خروج البرنس شنغ انحنى كروجر باحترام امام القيصر وقال· هل لجلالتكم الآن ان تقولوا ايضاً ان تركّكم انكلترا علينا كان منطبقاً على مصلحتكم

وكان القيصر قد اشتغل باله ولكنه كان هادئاً هدوء الحكماء الذين مهما اصابهم الدهر بحوادثه فان حكمتهم تعطيهم قوة تكون فوق كل شيء· فاجاب وما تعني بهذا القول

قال اعني انك بتركك انكلترا تنتصر علينا وتحشد ٣٠٠ الف جندي من جنودها قد عملت عملاً غير منطبق على مصلحة بلادك· واسمح لي يامولاي ان اخاطبك بهذه اللهجة الابوية فانني شيخ ويجوز للشيوخ ما لا يجوز لغيرهم · ساقرأ غداً تفاصيل الاتفاق الانكليزي الالماني في الجرائد ولكني اعلم الآن معناه من غير وقوف عليه · اما جاء فيه ان انكلترا تتعهد بحماية الصين من كل دولة اخرى· فمن هي هذه الدولة التي تريد انكلترا حماية الصين منها غير دولتكم· اليوم تقول انكلترا هذا القول وغداً تقول اشد منه ويحتمل ان تجترئ عليكم فيما بعد بما لا يحبه محبوكم فيكون ذلك كله ناشئاً عن انها رأت في نفسها القوة في هذه الحرب وفيكم الضعف فازدادت جرأة واقداماً · فهل ينطبق هذا على مصلحتكم

فابتسم القيصر ابتساماً في فمه لم يمسح العبوسة التي كانت بادية في عينيه وجبينه، فكأنه ضحك بعين وعبس باخرى· ثم قال اتعرف يا كروجر ما هذه الرسالة التي ارسلتها· فاجاب كروجر كلا· فقال القيصر هي امر بعثته الى وزيري دي ويت ناظر المالية وهذا نصه « امر الى وزير المالية بان يكتب الى حاكم غلاسكو في انكلترا بان روسيا ترضى بالاشتراك في معرضها وهي تؤمل ان يكون هذا الاشتراك خطوة في سبيل الوداد والسلم بين البلادين »

فضحكت الامبراطورة سي تاي هو ومدت يدها الى القيصر وصافحته قائلة· احسنت احسنت وقد فهمت مرادك

اما كروجر فانه لم يفهم فبقي مبهوتاً

كروجر الشيخ الحكيم · كروجر الداهية الذي شهد بسمارك بانه ما دخل في بحث او مسالة معه الا وخرج بسمارك مغلوباً · كروجر الذي ابيض شعره في السياسة والادارة والدهاء· لم يفهم مراد القيصر الشاب الذي لم تمضِ على ملكه بضعة اعوام

فيا ايتها الشبيبة · اذا كانت الشيخوخة تسبقك عادة في ارتقاء مدارج الحكمة والعلم والسياسة

فانك بوثبتين قد تبلغينها وتسبقينها ايضاً

ولما راى القيصر نقولا ان كروجر لا يزال مبهوتاً نظر اليه نظرة تنفذ الى اعماق القلوب وقال بهيئة امبراطورية «انا ازيل حيرتك . السياسة الانكليزية اظهرت بهذا الاتفاق انها غير واثقة بروسيا . والذي لا يثق بالناس لا يستحق ان يوثق به . ولذلك يميل الناس عنه . والذي يثق بالناس يدل بذلك على انه اهل لثقة الناس ولذلك يميلون اليه . وانا يهمني جداً ان يميل الناس الى روسيا في سياستها وان يكون الراي العام الانساني معها لا عليها

«اذكروا معاركم الكبرى مع الانكليز . او تحسبون انكم كنتم تغلبون بقوتكم فقط . كلا وانما كنتم تغلبون بقوة الراي العام الذي وراءكم يشد ازركم ويقوي سواعدكم . ان هذا الراي العام من اقاصي الشرق الى اقاصي الغرب . من بلاد المتوحشين الى بلاد المتمدنين . كان معكم يدفعكم الى الامام بقوته فهو سبب من اعظم اسباب قوتكم وان كان وا اسفاه من اعظم اسباب انسحاقكم ايضاً . فالراي العام اذاً قوة للافراد وللشعوب وعلى كل انسان ان يهتم باستمالته اليه

« ولكن انظر ما ابدع نواميس الكون الالهية . ان هذا الراي الذي هو قوة عظيمة لا يُستمال الا بالاعمال الحميدة التي تنشأ عن الاعتدال وحب الخير وكراهة الشرور . ولذلك بنت روسيا سياستها على هذه الامور فصارت اذا رشقتها انكلترا بحجر ردته اليها روسيا وردة . ومن هذا القبيل رسالة دي ويت التي رايتها

وهنا ابرقت عينا القيصر ودبت فيهما حماسة لم تُرَ فيهما من قبل فاردف قائلاً بغضب «فاذاث حدغداً الحادث الاكبر . غداً اذا اتى الحادث المنتظر . اذا ارتجت جبال حملايا من وقع حوافز القوزاق ونادى الملاك حامل البوق قد حلت دولة محل دولة فحينئذٍ يذكر البشر اننا كنا المسالمين وغيرنا المعادين . ويعلمون اننا لم نالُ جهداً في اجتناب الحروب والدعوة الى السلام فيكون رايهم معنا لا علينا وكفى بذلك قوة وفخراً لنا»

وما اتم نقولا الثاني هذا الكلام حتى نهض الشيخ كروجر اليه مهرولاً وهو يمدُّ يديه ويقول رضيت رضيت الآن ياسيدي بان اكون سكرتيراً لامك ملكة السلام . فساله القيصر وقد خمد غضبه ولماذا . فاجاب كروجر لانني اريد تقبيل تلك اليد الحكيمة التي ربت ملكاً مثلك

فاغرورقت هنا عينا القيصر بالدموع فحول وجهه عن كروجر لكي لا يراه . ثم قال

بنفسه « تقبل يد العاملة الكريمة اما يد العامل العظيم فقد ابلاها الدود وا اسفاه
ولكن اذا كان كروجر لم يرَ دموع القيصر فان الامبراطورة سي تاي هو قد راتها ٠
فقالت في نفسها ان نقولا يذكر الآن اباه لانه لا يبكي الا عند ذكر شعبه وابيه
فمباركة انتِ ثلاث مرات ايتها الحكمة اذا سكنتِ نفوس البشر ٠ ومباركة انتِ
الف مرة اذا سكنت نفوس الملوك (ستاتي البقية)

تاريخ الاسبوعين

﴿ الجناب الخديوي ﴾ برح الجناب الخديوي العالي مصيفه في المنتزه في الثغر عائداً الى عاصمته بالعز والاقبال بعد تمضية اشهر الصيف عندنا فاحتفل بتوديع سموه هنا واستقباله في العاصمة وفي طريقه اليها احتفالاً يدل على ما لجنابه الفخيم من الرفعة والحب في نفوس الامة على اختلاف عناصرها دام محفوظاً من العناية الالهية

﴿ الحوادث الخارجية ﴾ لم تنتهِ مشكلة الصين بعد والمظنون انها لا تنتهي في وقت قريب لان الدول ينظرن الى بعضهن البعض بعين الحذر والاتقاء ٠ وقد ذكرنا في الجزء الماضي اقتراح روسيا ان تعود جنود الدول من بكين وهو اول اقتراح اقترحته الدول ٠ وتلاه اقتراح المانيا ان تطلب الدول من الصين دفع زعماء الفتنة اليها لمعاقبتهم فاجابتها الولايات المتحدة ان ذلك متعذر على الصين اذ يصعب عليها تسليم ابنائها الى الاجانب فضلاً عن ان العقاب بيدها يكون اوقع في نفوس الصينيين ٠ فاقترحت فرنسا بعد المانيا اقتراحين الاول يتضمن الامور التالية : معاقبة الثائرين ودفع غرامة وتعويضات واقامة حراس في السفارات واحتلال بعض المراكز في الطريق بين بكين وتيينتسين وهدم حصون تاكو وغيرها من الاستحكامات ٠ فوافقت جميع الدول على هذا الاقتراح فكان فوزاً ادبياً مهماً للسياسة الفرنسوية ٠ اما الاقتراح الثاني فهو ان تُقدم كل واحدة من الدول الى الصين مطلوبها من حيث التعويض والغرامة ٠ فوافقن عليه ايضاً وصدر الامر الى السفراء في بكين لمخابرة لي هنغ تشنغ والبرنس شنغ المندوبين الصينيين للمفاوضة في عقد الصلح ٠ فاعلن هذان المندوبان السفراء في منشور بالبنود التالية ٠ اولاً ان الصين تاسف لما جرى

وتعد ان هذه الفتن لا تعود . ثانياً انها تعترف بوجوب دفع غرامة . ثالثاً ان الجنود الاوربية تخرج من الصين حينما يتم الاتفاق على هذه الغرامة . رابعاً بما انه قد بدأت المخابرات لعقد الصلح فالصين تطلب ان تكف جنود الدول عن القتال . فاجابه سفير فرنسا بلسان السفراء ان الدول لا تكف عن القتال ما دامت رؤوس زعماء الفتنة فوق اكتافهم

وبينما الدول في هذا القيل والقال واذا بحادث عظيم حدث في لندرا . وهو ان المانيا وانكلترا قد وقعتا فيها على اتفاق ما آله (١) ان كل واحدة من انكلترا والمانيا تتعهد بابقاء الموانىء الصينية مفتوحة لتجارة الامم (٢) انهما تتعهدان ايضاً بان لا تغتنما فرصة المشاكل الحاضرة للاستيلاء على اراضٍ جديدة صينية (٣) اذا ارادت احدى الدول اية كانت ان تستولي على شيءٍ من ذلك فان الدولتين تعقدان اتفاقاً ثانياً لصيانة مصالحهما . (٤) تُبلغ الدولتان هذا الاتفاق الى النمسا وفرنسا وايطاليا واليابان والولايات المتحدة وتطلبان موافقتهن عليه . فقامت قيامة الساسة والجرائد لان هذا الاتفاق عُد بمثابة انفصال المانيا وانكلترا عن الاتحاد الاوربي ورغبتهما بمقاومة روسيا . فكأَن المسالة الصينية قد تاخر حلها ولم يتقدم خطوة واحدة

اما الترانسفال فقد سافر رئيسها كروجر قاصداً اوربا ولا تزال المناوشات قائمة قاعدة فيها مما يدل على ان هذا القتال لا ينتهي قريباً

ومن امهات الحوادث في هذا الشهر زيارة جلالة الشاه مظفر الدين شاه الفرس لجلالة



جلالة مظفر الدين شاه على عرشه الذهبي
وهو محاط برجال دولته

السلطان الاعظم في الاستانة زيارة كان لها صدى في جميع اقطار العالم وقد عاد الشاه منها الى بلاده عن طريق بودابست و بطرسبرج و يقال انه انفق في سياحته ٢٢ الف فرنك في كل يوم · وقد نشرنا هنا رسم جلالته بلغه الله عاصمة بلاده بالسلامة والهناء

مدام جول سيمون
Mme Jules Simon

نعت اخبار باريز في هذا الشهر المرحومة السيدة الفاضلة مدام جول سيمون استاذنا الفيلسوف الشهير · وقد كانت رحمها الله من فضليات النساء وكفى دليلاً على فضلها انها كانت من اكبر مساعدي قرينها العظيم في سرائه وضرائه على الاعمال العظيمة التي قام بها · فنحن نتقدم الى حضرات نجليها الفاضلين الدكتور جوستاف سيمون والمسيو سيمون رئيس سكرتيرية مجلس الشيوخ وسائر آلها الكرام بفروض التعزية ونسال الله ان يتغمدها برحمته ورضوانه ويلهمهم الصبر الجميل

﴿ قرينة نعمة الله كرم ﴾ نعيت من اسكلة طرابلس الشام الماسوف عليها المرحومة قرينة حضرة الخواجا نعمة الله كرم استاثرت بها رحمة الله عن عمر صرفته بالصلاح وقد احتفل بتشييع جنازتها احتفالاً كبيرًا فنحن نشارك جميع آلها الكرام في حزنهم ونسال الله ان يرحم فقيدتهم رحمة واسعة و يمطرها سحائب الغفران

﴿ والدة اسعد وابرهيم مظهر ﴾ نعزي حضرات الفاضلين الخواجات اسعد وابرهيم مظهر في دمنهور بوفاة المرحومة والدتهما في لبنان سائلين لهم ولسائر آلهم الكرام نعمة الصبر والسلوان ولفقيدتهم واسع الرحمة والغفران

﴿ عيسى يازجي ﴾ نعزي حضرة الشاعر الاديب عبد الله افندي يازجي في مرمريتا الحصن بوفاة نجله عيسى ونسأل له الصبر الجميل على فقده

(تولستوي) ذكرنا في صدر هذا الجزء خلاصة فلسفة تولستوي وحرم المجمع المقدس له · و بعد كتابة ما تقدم راينا في رصيفتنا جريدة الهدى الغراء التي تُطبع في فيلادلفيا ان جريدة النورث اميركان التي تُطبع في تلك المدينة بعثت تسأل تولستوي عن الحرم فاجابها بتلغراف معناه « لم يحرموني ولكنهم منعوا اقامة جناز على جسدي الفاني بعد موتي وانا راضٍ بهذا المنع »

الفصل الثلاثون

(انتصار بيتو)

وبعد ان اصبح بيتو قائداً رسمياً للحرس الوطني في هرامونت بامر من الجنرال لا فاييت دعا جنوده وامرهم ان يختاروا لهم ضابطين يساعدانه في قيادتهم . فوقع اختيارهم على المدعوين تليه ومانيكه ثم سألوه ان يبدأ بتمرينهم وتدريبهم على الحركات العسكرية لانهم كانوا في غاية الشوق الى ذلك فاجابهم بيتو كيف يكون التمرين من غير بنادق فقال مساعداه فلنسعَ اذاً للحصول على البنادق على عجل فان الامر الذي لدينا كافٍ لارغام الاب فورتيه على تسليمنا ما نريده منها

فذهب بيتو الى شيخ القرية واطلعه على هذا الامر يساله ان يرافقه الى مدرسة الاب فورتيه لاخذ السلاح منها لجنوده فاطاع الشيخ وسار الى المدرسة مع بيتو ومساعديه وهم اركان حرب جند هرامونت

ولما وصلوا الى المدرسة كان الاب فورتيه يحادث سيباستيين ابن الدكتور جيلبار في الحديقة ويبرهن له ان العشرة الرديئة تفسد الاخلاق الصالحة وانه بما ان الاجتماعات المضرة تمتد في كل المدن والقرى فالاجدر بالعاقل اجتنابها ليبقى اميناً لملكه ووطنه

ولكن واأسفاه ان الاب فورتيه كان يعني بقوله لهذا الولد « اميناً لملكه ووطنه » خلاف ما يعنيه جيلبار ابوه بهاتين الكلمتين لان كل واحد من المعلم والاب كان يفسر الامانة كما يراها فكأنَّ الاب فورتيه بذلك يغرس في نفس سيباستيين ما يناقض مبادئ ابيه

ولما دخل شيخ هرامونت الى المدرسة وابصره الراهب بادر اليه مسلماً وقائلاً . ما وراءك يامسيو لونبره

فاجاب الشيخ اتيتك ياحضرة الراهب بناء على امر من الحكومة . فقال الراهب وما هذا الامر . قال ان الحرس الوطني في هرامونت يطلب سلاحاً وقد جئت مع وفد من قبله لنطلب منك حاجته منه

ولم يأتِ الشيخ على هذه الكلمات حتى برز بيتو

فصعد الدم الى راس الاب فورتيه وصاح ببيتو . لئيم . وغد . سافل . جئت مرة ثانية لتسرق مالي . فرفع بيتو راسه وقال ما جئت اسرقك ياحضرة الراهب وانما جئت بناء

على امر من الحكومة اسالك اعطاءنا حاجتنا من السلاح الذي عندك

اما شيخ القرية فانه حول وجهه وسكت لانه كان يرغب في مسالمة الفريقين

و بعد جدال طويل واحتدام الاب فورتيه غيظاً وغضباً مرارا دخل بيتو ومساعداه وشيخ القرية الى مخزن السلاح واخذوا منه ثلاثاً وثلاثين بندقية على قدر عدد الجنود ثم اخذ بيتو لنفسه بندقية ضابط وسيفاً مستقيماً كسيف الجنرال لافاييت وعادوا بعد ذلك آمنين الى القرية

اما الراهب فكان عند خروجهم من منزله ملقى على كرسي من يأسه وغيظه وراسه بين يديه وهو يفكر في مصيبته

ولما وصلوا الى القرية وزع بيتو البنادق على جنوده ففرحوا بها فرحاً شديداً وطلبوا منه الشروع في تعليمهم . فوعدهم بيتو بان يعلمهم في اليوم التالي

وهنا مصيبة بيتو الجديدة . مصيبة حرمته الرقاد في تلك الليلة . فان هذا الولد المسكين كان لا يعرف شيئاً من اصول التعليم العسكري وهو يجهل كيف نقل البندقية . فماذا يحدث غداً عند افتضاح امره ومعرفة الناس جهله . الا يسقط من شامخ مجده و يصبح سخرية لكل الناس . فكيف العمل لتلافي سقوطه

وكان بيتو يفكر في ذلك وهو ملقى في ظلام الليل على فراشه ينقلب عليه تقلب الملسوع . فلا قيصر حين وقوعه في ادغال غالية الموحشة ولا انيبال عند تيهه بين الثلج في جبال الالب الشاهقة ولا كولومبوس حين مسيره الى المجهول على سطح الاوقيانوس العظيم — لا احد لم يفكر اكثر مما فكر به بيتو في تلك الليلة

وفيما هو يفتكر ابرق شيء على حين بغتة في فكره فهبَّ من نومه كمن لدغته حية وصاح كما صاح ارخميدس « وجدتها وجدتها »

ثم انه نهض ونادى مساعديه في قيادة جيش هرامونت وابلغهما ان تدريب الفرقة سيكون بعد غد لا غداً . فساله الرجلان عن سبب هذا التاخير فقال لهم بيتو بهيئة جدية تعلموا منذ الآن ان تطيعوا القائد من غير اعتراض حين صدور امره . فسكت الرجلان احتراماً وخرجا لابلاغ الجنود امر القائد

فما غابا عن الابصار حتى خرج بيتو من غرفته فاغلق الباب ثم سار ركضاً في ظلام الليل نحو الجانب الكثيف من الغابة طالباً ما حسبه يفرج كربته . وكانت الساعة الحادية عشرة

الفصل الواحد والثلاثون

(رجل في الطبيعة)

وبقي بيتو راكضاً نحو الجانب الكثيف من الحرش حتى قطع مسافة بعيدة . ولو رآه حينئذٍ احد الاهالي سائراً في هذه الجهة لعلم انه يقصد الاب كلويس

ومن هو الاب كلويس

الاب كلويس رجل في التاسعة والستين من العمر كان جندياً منذ سنوات بعيدة فاصيب برصاصة في فخذه فعجز عن العمل فاذن له الدوق دورليان بان يبتني كوخاً في حرشه ويعيش فيه من صيده . ولكنه لم ياذن له بان يطلق سوى طلق ناري واحد في اليوم اعتماداً على انه يقتل في كل طلق ارنباً فيبلغ مجموع صيده في السنة ٣٥٦ ارنباً وهو قدر كاف لمعيشته سواء من لحم الارانب او من بيعها . ذلك ان الاب كلويس كان مشهوراً في فرقته بانه لا يطلق رصاصة من بندقيته الا ويقتل بها أثناء القتال انساناً فاذا كانت هذه القاعدة مطردة في الانسان وجب ان تكون كذلك في الحيوان . وهكذا كان

وكان الاب كلويس يعيش في الطبيعة خالياً من هموم الاجتماع واقذار الحضر الا ان كثيرين من الاشراف كانوا يقصدونه ويضعون نقوداً في يديه ليروا كيف ان هذا الرجل يقتل في كل رصاصة ارنباً دون ان يخطئ مرة في حياته . فكان يجرب ذلك على مرأى منهم فيعجبون بمهارته . وكانت هذه التجربة تاتيه بدخل غير قليل

وفضلاً عن ذلك فان قوة الاختراع تقوى في الذين ينفردون للتامل او للمعيشة على حدة ولذلك خطر للاب كلويس امر جديد . فانه كان على مقربة من كوخه بلاطة منحنية ملساء فجعل الاب كلويس يُشيع بين اهالي تلك الجهات ان كل البنات اللواتي يزلقن على البلاطة في يوم القديس لويس اي في ٢٥ اغسطس فانهن يتزوجن في تلك السنة بلاشك فجاءه في بدء الامر ثلاث فتيات وزلقن عليها فتزوج منهن فتاتان في تلك السنة . فازداد الاقبال على صخرة الاب كلويس . وكان الفتيات يدفعن له شيئاً من النقود رسماً مفروضاً على الزالقات فكان يقول لمن ازلقن فتياتٍ وشباناً في آن واحد فالتي تكون حسنة النية تتزوج بلا شك في هذا العام والتي لا تكون حسنة النية فاللوم عليها لا على الصخرة . وهكذا كان يتخلص من الملام بهذه الحيلة . ثم انه خطر له لزيادة ايراده من هذا اليوم ان

يوجب على الزالقين والزالقات ان يبتاعوا طعامهم في ذلك اليوم من عنده واحضر لهم اطعمة مختلفة . فكان يربح من ذلك ومن ضيوفه النبلاء الذين مرّ ذكرهم ومن بيع الارانب ارباحاً يخزنها لانه كان لا ينفق شيئاً

هكذا كانت معيشة الاب كلويس في تلك الغابة وقد انقضت عليه ٢٥ عاماً على هذا المنوال حين سار بيتو اليه . وكان امره مشهوراً في تلك الجهات كلها

الا ان الاب كلويس كان من سوء حظ بيتو قد اصيب في اليوم الذي قصده فيه بمصيبة لم يُصب بمثلها منذ بداية معيشته فانه كان يطلق بندقيته العزيزة على ارنبة فانفجرت البندقية وانجرحت يده ثم — وا اسفاه — نجت الارنبة

فكانت هذه الارنبة هي الارنبة الوحيدة التي اطلق عليها النار منذ ٢٥ عاماً ونجت من بندقيته

اما يد الاب كلويس فانه ضمدها بشيء من الورق الممضوغ ولكن كيف السبيل لجبر كسر البندقية . لذلك كان حزنه على بندقيته العزيزة التي فقدها اشد كثيراً من حزنه على انسحاق اصبعين في يده . ومن اجل هذا كان الاب كلويس راقداً في كوخه تلك الليلة وهو في منتهى الحزن والغضب

فلما وصل بيتو الى الكوخ وكان يعرف مقره احدث حركة شديدة لينتبه الاب كلويس فسمع من داخل الكوخ في وسط هدوء الليل في تلك الاماكن الخاوية الخالية زئيراً يحكي زئير الاسود . فخاف بيتو ونادى . ايها الاب كلويس . فاجابه صوت اجش من الداخل قائلاً بغضب من انت . فقال انا بيتو . قال من هذا بيتو . قال انا انج بيتو من هرامونت فصاح الاب كلويس وماذا يهمني ان تكون بيتو وان تكون من هرامونت . اذهب لشانك ودعني وشاني

فتلطف بيتو معه ووعده بالجائزة اذا سمع له ثم دخل عليه وقص عليه قصته وقال له انه يطلب منه ان يعلمه التمرين والتدريب العسكري وهو يعطيه جزاء ذلك ما يشتهي ويريد

فابرقت هنا اسرة ذلك الشيخ وهب من فراشه صائحاً — تعطيني ما اشتهي واريد اذا علمتك الحركات العسكرية احسن تعليم . فاجاب بيتو نعم مهما اردت . فصاح الرجل وقد ذكر بندقيته المفقودة انني اريد جزاء ذلك بندقية

فاجاب بيتو عندي بندقية ضابط اخذتها اليوم فساحضرها لك غداً

فابتهج ذلك الشيخ ونهض الى بيتو ليعلمه فخرج به من الكوخ الى بقعة متسعة بين الاشجار وهناك في ذلك الهدوء العظيم بين حفيف الاشجار وهبوب النسيم وانعكاس اشعة القمر الفضية عن زمرد الاوراق اخذ الاب كلويس يعلم بيتو الحركات العسكرية من نقل البندقية والتسليم والزحف النظامي . ولو رآهما احد وهما يروحان ويجيئان في ذلك الظلام بين الاشجار الواسعة بحركات تارة عنيفة وطوراً خفيفة لحسبهما شبحين من عفاريت الجن يمرحان في الظلام في تلك الغابة

الفصل الثاني والثلاثون

(كاترين تلجأ الى الدهاء والسياسة)

ولما عاد بيتو في تلك الليلة الى فراشه بعد ما تعلمه من الاب كلويس كانت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل فنام مستريح البال . ولكنه حلم في نومه انه يعلم في ساحة عسكرية جيشاً خضماً فيدير حركاته باوامره احسن ادارة . ولما نهض في اليوم الثاني استدعى مساعديه في قيادة الحرس الوطني واخذ يعلمها بهيئة جدية ونزق الحركات التي تعلمها في الليل من الاب كلويس . فاعجب المساعدان بمهارته

وما امسى المساء حتى تناول بيتو بندقيته وسار نحو كوخ الاب كلويس ليفي وعده له ويكمل تعليمه ولما عاد هذه المرة من لديه كان عالماً بجميع الحركات العسكرية فتنفس الصعداء واصبح يرى نفسه قوي القلب ساكن الجاش بعد ضعفه واضطرابه

وهذا شان المعرفة والجهل فان المعرفة تجعل الانسان قوياً دائماً والجهل يجعله ضعيفاً دائماً

وفي صباح اليوم التالي اجتمع جند الحرس الوطني بساحة القرية فاجتمع الاهالي عليه . ثم جاء بيتو الى الساحة شامخ الراس جريء القلب وسيفه الى جانبه فتناول كل واحد من الجند بندقيته واصطفوا في ساحة التعليم

فتقدم منهم بيتو بقلب مطمئن واخذ يعلمهم ما تعلمه وهم خاضعون له مصغون اليه كما يصغي الجنود الى قائد عظيم . واستمر على هذا التعلم شهرين فاتقن حرس هرامونت تلك الحركات احسن اتقان . وكان بيتو يثني على اجتهادهم وذكائهم وهم يزدادون حباً له وتعلقاً اه

ولما اتقنوا الحركات العسكرية صار يجب تعليمهم المناورات فسافر بيتو بضعة ايام الى سلسون وحضر هناك مناورات الجيش ثم عاد وقد تعلم المناورة

ان الانسان اذا تامل في الارتقاء العظيم الذي يبلغه بعض الافراد راى ان ذلك الارتقاء قد نشأ اما عن قوة ارادة الانسان وشدة سعيه واما عن عدم اكتراثه بامور الحياة. في ان ارتقاء بيتو ناشيءٌ عن هذين الامرين معاً. فان ارادته كلها انصرفت الى الصعود الى سلم الاجتماع فكان يسعى الى ذلك بكل قواه وهو غير مكترث الا بالشيء الذي صرف فكره اليه

ولكن لما بدأ بيتو بالصعود واصبح مشهوراً ومحبوباً في هرامونت وضواحيها اخذت تعود اليه عاطفة الاهتمام بكاترين فكان كثيراً ما يسير في الحرش على غير هدى لعله يراها او يرى من يراها. وكان كلما وقعت عيناه على املاك شارني وراء الحرش البعيد تنهد من اعماق قلبه وحسد ذلك الرجل الذي كان سعيداً بحب من يحبه على حين ان كل شيء حوله كان يتعذب ويشقى في ذلك الزمان

وكان بيتو لو اراد في استطاعته ان يحب اجمل بنات القرية والضواحي لانهن كن يتزلفن اليه كل حين ولكن قلبه كان عالقاً بكاترين ولا يبغي منها بديلاً. فقال يوماً في نفسه وهو تائه في الحرش على وجهه لا يلوي على شيءٍ لقد جربت استمالتها باللطف وحسن المعاملة فلم اقدر عليها فلماذا لا اجرب العنف

وكان بيتو موقناً ان بيلو لو علم بميل ابنته الى ذلك الشاب الشريف فانه يقتلها لساعته فخطر له ان يتخذ هذا الفكر سلاحاً ضد كاترين. وكان بيتو قد ابتاع كتباً عسكرية صدرت في ذلك الزمان فاخذ منها كتاباً وسار نحو الجهة التي يعلم انها طريق كاترين الى املاك شارني حيث اعتادت ان تلتقي بالمسيو ايزيدور الشاب اللطيف. ولما وصل الى هناك جلس في ظل شجرة واسند ظهره الى جذعها ثم فتح الكتاب واخذ يقرأ

وفي الحقيقة انه لم يكن يقرأ ولكنه كان ينظر في الكتاب نظراً فقط اذ مرَّ عليه نصف ساعة دون ان يقلب ورقة منه

ولكن لم يمر عليه اربعون دقيقة حتى ظهر له من بعيد فارس ينهب الارض نهباً على جواده. ولما اقترب الفارس وجد بيتو انه كاترين نفسها قادمة الى موعد المسيو ايزيدور دي شارني

تخفق قلب بيتو وصار وجهه في الكتاب ولكن عينيه في كاترين

فمرت كاترين على الجواد كالسهم المارق دون ان تراه وقصدت منزلاً هناك للمسيو دي شارني فربطت فرسها في شجرة توت ثم دخلت

فلما غابت كاترين عن عيني بيتو في المنزل امتلأ قلبه حنقاً ولبث ينظر الى الجهة التي غابت فيها كما ينظر المجوسي الى المشرق في الصباح عند انتظاره غزالة النهار او كما ينظر كلب الصيد الى وكر غابت فيه ارنبة

فطال انتظار بيتو ربع ساعة ثم ثلثاً ثم نصفاً ثم ثلاثة ارباع دون ان تظهر كاترين . وكانت نفس بيتو في هذه الاثناء تحدثه اشكالاً والواناً

ولما انقضت ساعة سمع حفيف ثوب وكان المساء قد امسى فالتفت فابصر كاترين قادمة صوبه من غير الجهة التي غابت فيها . فلبث شاخصاً بها ينتظرها . اما هي فكانت تمشي على غير هدى وهي تلتفت ذات اليمين وذات اليسار لترى هل هنالك احد ينظرها حتى صارت على مقربة من بيتو

وكما يحدث لارنب وُجدت على حين بغتة على بعد مترين من كلب صيد قوي . وكما يحدث لفارة رات نفسها على بعد متر واحد من هرة قوية هكذا حدث للجميلة كاترين . فانها حين وقع بصرها على بيتو امامها وهي لا تعلم بوجوده هناك اصطبغ وجهها بصفرة تحكي صفرة الموت واصطكت ركبتاها فصرخت صرخة خفيفة وعادت ركضاً كالجواد السريع نحو جوادها فوثبت عليه كلمح البصر واطلقت له العنان قاصدة مزرعتها

اما بيتو فانه نظر اليها وهي هاربة وصدره منشرح ومنقبض معاً . منشرح لانه استطاع الانتقام قليلاً من تلك المتكبرة وراى في يده سلاحاً لاخافتها . ومنقبض لانه خاف نتيجة هذا الفخ الذي نصبه لها فاخذ يتساءل هل يبقى لها على الوقوف في هذه الطريق ام يتركها وشانها

وفي يوم الاحد التالي كان احتفال عظيم في قرية هرامونت . فان اكثر القرى المجاورة لها عزمت على ارسال جنود حرسها الوطني لاستعراضها مع جنودها لما بلغ الناس من بسالة جند هرامونت ومهارة قائدهم . فتواعد الناس ان يلتقوا في هذه القرية لمشاهدة الاستعراض

وما اشرقت شمس يوم الاحد حتى اخذ الناس ينسلون الى هرامونت من كل تلك الضواحي . وكانت جنود القرى المجاورة تاتيها على اصوات الابواق والطبول العسكرية فتزيد الناس رغبة في الذهاب الى هرامونت في ذلك اليوم لمشاهدة الاستعراض . ولذلك

كنت تري خاصة الناس وعامتهم متجهين مشاة او راكبين الى تلك القرية

وكان بيتو في ذلك اليوم قد استعار حصاناً ابيض كحصان المسيو لافاييت لتكون المشابهة تامة فركبه وهو عزيز النفس شانخ الانف وجمع فرقته ثم اصدر اليهم امراً بالزحف الى ساحة الاستعراض فسارت على ضرب الطبول سيراً سريعاً قوياً فكان لها منظر جميل

وما زالت حتى اطلت على ساحة الاستعراض و بيتو على فرسه يهتز طرباً و يشمخ عجباً. وكان الاهالي من القرى المجاورة لا يزالون يتوافدون الى الساحة بين زراع واشراف واصحاب املاك. فوجه بيتو نظراً الى اناس كانوا حينئذ قادمين. فابصر كاترين وامها راكبتين كل واحدة فرساً

فاحمرت وجنات بيتو واصفرت وجنات كاترين

ولما درى بيتو بوجود كاترين ازداد اهتمامه بذلك الاستعراض ليظهر لكاترين مهارته ومقامه

فاخذ كل قائد من قواد الجند يستعرض فرقته على حدة ويجعلها تقوم بحركات عسكرية مختلفة. فراى الحاضرون ان فرقة بيتو ممتازة عن جميع تلك الفرق بضبط حركاتها وخفتها وشدة حماستها فصفقوا لها تصفيقاً كثيراً وكانوا كلما صفقوا لها ازدادت مع قائدها بيتو حماسة واجادة

ثم اجتمعت تلك الفرق كلها للقيام بعمل واحد وولت قيادتها الى قائد اقدم من بيتو عهداً ولذلك يجب ان يتقدم عليه فشرع ذلك القائد في اجراء مناورة كبرى

ولكن ما انقضى على ذلك عشرون دقيقة حتى ارتبك هذا القائد واضطرب لانه كان لا يُحسن المناورة فتضعضع هذا الجيش الصغير وتقلقلت صفوفه واصبح فِرقاً فرقاً لا يعرف كيف يجتمع ولا كيف يسير. فاستاء الجنود من القائد لانه جعلهم سخرية امام الاهالي واستاء الاهالي ايضاً فصاحوا كلهم من فم واحد « بيتو بيتو »

فتنحى حينئذٍ هذا القائد مفسحاً المجال لبيتو. فوكز بيتو فرسه متقدماً بجأش ثابت وقلب مطمئن فزعق في تلك الصفوف المضطربة زعقة ارجعتها الى النظام على عجل. ثم اصدر امراً الى جنوده جنود هرامونت بالوقوف في مقدمة الجيش وصاح بها بالزحف. فكرت كرة رجل واحد بحماسة ونظام صفق لها الحاضرون كثيراً. ثم شرع بيتو في موقفه يامر وينهى بصوت جهوري عسكري كانت ترتج له تلك الصفوف كانها اشجار تضطرب

امام الريح وتهب معه كيفما هب حتى انتهت المناورة على احسن ما يُرام وهتف الاهالي لبيتو وللجنود هتافًا طبق السماء

فنزل بيتو حينئذٍ عن جواده وهو مبلل الوجه والجسم بالعرق وكان انتصاره عظيمًا فتهافت عليه الناس ليهنئوه ويشكروه واحاطت به الفتيات ليشاهدونه ويحيينه

فكان بيتو عظيماً في موقفه منهم يردّ لكل واحد تحيته بابتسام او باشارة وعيناه تفتشان عن كاترين

فما لبث ان سمع قائلاً يقول له بجانبه

صباح الخير يامسيو بيتو

فالتفت بيتو واجاب سعدتِ صباحًا يامدموازل كاترين

فقالت كاترين ما لك لا تلتفت الينا يامسيو بيتو ولا تعبأ بنا اهكذا يصنع القواد العظام

فسلم بيتو على مدام بيلو التي كانت بازاء كاترين ثم اجاب · كلا يامدموازل انني لست قائدًا عظيماً ولكني رجل خامل الذكر ملتهب شوقاً لخدمة وطني

فسمع الحاضرون هذه الكلمة فازدادوا تحمسًا لبيتو وهتافًا له

فتقدمت كاترين حينئذ من بيتو وقالت همسًا بيتو اريد ان اراك اليوم

فقال بيتو في نفسه عدنا والعود احمد · ثم اجاب · انا خادم مطيع ياسيدتي · فقالت كاترين عد معنا اليوم الى المزرعة · فقال الامر لك

الفصل الثالث والثلاثون

(الخل والخمر)

ولما تفرق الناس تسنى لبيتو وكاترين ان ينفردا للمحادثة على حدة · وهما سائران الى المزرعة فابتدرته كاترين بالسؤال قائلة لماذا عاملتنا هكذا يامسيو بيتو وما الذي دعاك الى ترك المزرعة

فبهت بيتو لهذا السؤال الذي ما كان ينتظره ثم قال تعلمين يامدموازل سبب سفري من المزرعة · فقالت لا اعلم شيئًا بل اقول لك انك عملت عملاً سيئًا

فعض بيتو شفتيه حنقاً لانه كان يعلم ان كاترين لا تجهل كونها هي التي طردته من مزرعتها . فقالت كاترين . ثم اجبني ما كنت تعمل في ذلك اليوم في الحرش حينما رأيتني فقال الشاب متردداً . انا . ما كنت اعمل شيئاً . فقالت ولماذا ذهبت الى تلك الجهة مع انها بعيدة من هرامونت . فقال الشاب كنت اقرأ هناك . قال ولماذا لم تقصدني حينما نظرتني بل لماذا لم ارك حينما مررت بك في مجيئي

فامتلأ هنا قلب بيتو حنقاً لانه ادرك ان كاترين تحاول خداعه . والتمويه عليه بهذا الكلام فقال لها . انا لم اركِ في مجيئك ياسيدتي فلعلك لم تاتي من الطريق بل من داخل الحرش

فعضت كاترين شفتها واجابت نعم نعم صدقت جئت من داخل الحرش لاجل النزهة ولكن ذلك لا يمنعك من رؤيتي لو قصدت ذلك . ولكنك لم تقصد من سوء الحظ . اما انا فقد كنت اطوف على فرسي في نواحي الحرش مفتشة عن عشبة لضمد جرح اصبت به ولذلك بقيت سائرة حتى وصلت الى المنزل وانا افتش عن العشبة

فقطب بيتو حاجبيه وقال اي منزل

فقالت المنزل ... منزل اسرة شارني القائم وسط الحرش الا تعرفه

فاجاب نعم اعرفه

فشعرت كاترين بضربة شديدة في قلبها حينما لفظ بيتو هذا الكلام

ثم التفت الشاب الى يدي الفتاة وسالها لا ارى في يديك جرحاً ياسيدتي كما ذكرتِ . فقالت الجرح في قدمي لا في يدي . اما رايتني اعرج في مشيي

فقال بيتو في نفسه وحق السماء والارض انني رايتك تركضين اكثر مني حينما فررتِ من وجهي

اما كاترين فحسبت بعد ما تقدم ان بيتو لا يعلم شيئاً من امرها فقالت له بهيئة جدية . هذا امر لا ارضاه منك يامسيو بيتو ولا يرضاه ابي ايضاً . فان تركك المزرعة والغضب علينا بلا سبب امران لا يدلان على ودك لنا

وكان بيتو يشعر في اثناء كلام كاترين انها تهزأ به وتسخر منه . اذ كيف تجهل انها هي التي طردته من المزرعة واساءت مقابلته . فثارت نفسه لهذه المعاملة الجديدة لانها جرحت من جديد انانيته والانانية افعى لا يجدر بالانسان ان يدوس عليها مخافة ان تهب وتلدغه اللهم الا اذا كان يستطيع سحقها مرة واحدة

ولذلك رفع بيتو راسه امام كاترين وقال بهيئة جدية . مدموازل ارجوك ان لا تسخري منا . فعجبت الفتاة واجابت كيف اسخر منك يامسيو بيتو . فقال الشاب . نعم الا تذكرين انك انت التي قلت لي انه لا يوجد لي عمل في المزرعة . وما معنى ذلك غير طردي منها . ثم انني غبت اياماً وشهوراً دون ان تسالي عني لتعلمي اذا كنت قد متُّ من الجوع او لا ازال حياً . ولما شاهدتني ذلك اليوم عند منزل شارني فررت مني فرارك من الموت

فصاحت كاترين . انا فررتُ . فقال بيتو محتدماً . نعم نعم . فررتِ فررتِ ولا اكذب عيني . وقد قلتِ انك ذهبتِ الى هناك لتفتشي عن عشبة تضمد جرحك فالذي يفتش عن عشبة في ذلك المكان لا يقيم ساعة فيه

فصرخت كاترين وقد هلع قلبها خوفاً . انا مكثت ساعة هناك ? لاتصدق ذلك يا مسيو بيتو

فاجاب الشاب بابتسامة اذا كنت انا لا اصدق ذلك فان الشجرة التي ربطتِ بها جوادك قد صدقته . ذلك ان هذا الجواد قد قشر جذعها كله واكل القشرة . وانت تعلمين ان ذلك لا يتسنى للجواد في اقل من ساعة . فاذهبي واسالي الشجرة

فازدادت كاترين هلعاً وصبغ الاصفرار وجهها فلم تنبث ببنت شفة . وكذلك بيتو فانه شعر بانه قال شيئاً ما كان يجب ان يقوله كله فسكت ايضاً

وبعد سكوت برهة من الزمان وهما سائران على الطريق وراء مدام بيلو التي كانت مشتغلة بالحديث مع بعض الرفيقات قالت كاترين مبهوتة . اصدقني يابيتو الستَ صديقاً لي

وقد قالت كاترين هذا القول بلهجة سحرية تختلب الالباب . فطاش لب الفتى بيتو وذهبت نفسه شعاعاً وصعد الكلام الى فمه فكاد ينطق بما تكنه نفسه من الشغف بهذه الفتاة التي ما فتأت تعذبه . ولكنه ضغط على نفسه وتساءل ماذا اصنع اذا قلت لها انني احبها ثم قالت لي انها تحبُّ سواي . الا اموت حينئذٍ ياساً وغماً . فالاجدر بي ان اسكت

فالتفت بيتو اليها . وقال وا اسفاه ياسيدتي انت تعلمين انني صديق حميم للاب بيلو وكل اسرته

قال هذا وكانه لم يعدقادراً على كتمان ما في نفسه فانحنى مسلماً ثم ذهب مسرعاً دون استئذان كاترين

وكان ذهابه الى الحرش القريب . فكان يمشي وهو يرقص طرباً . ذلك لانه راى كاترين . وحادث كاترين . ومست يده يد كاترين . فاخذ يهيم بين تلك الاحراش مغنياً مع عصافيرها متمايلاً مع اغصانها طرباً نشوان من خمرة الحب الذي يملأ نفسه . ثم اخذ يبكي كصغار الاولاد . وبعد البكاء اخذ يغني اشبه برجل فقد الصواب . ولما كان نسيم المساء يهب عليه في مسيره فيبرد حرارة جبهته وينعش صدره المتقد بالنار كان بيتو يقف ناظراً من خلال اغصان الاشجار الى صفحة السماء الصافية الزرقاء التي فوقها والفضاء الذي حوله و يقول في نفسه وهو يتألم من ذكر كاترين . هل هذا ما يسمونه حباً فانه تارة يكون حلواً وطوراً مراً

وا اسفاه يا بيتو ان الحب خلٌ وخمر وقد اخذ النبيل ايزيدور شارني كل الخمر ولم يبقِ لك غير الخل

اما كاترين فانها سارت وراء امها نحو المزرعة مبهوتة وقد اخذت منذ هذا الحين تشعر بالخوف من بيتو والرغبة في مداراته واتقائه . واما بيتو فبعد بكائه في الحرش تارة والغناء تارة اخرى شعر بجوع شديد فعاد الى هرامونت على عجل . وقد قال الكاتب شاتوبريان « عجب الناس من غزارة الدموع التي وُجدت في مقلة ملك ولكن من يستطيع ان يقيس الفراغ الذي يُحدثه البكاء في معد الفتيان »

الفصل الرابع والثلاثون

(حلٌ غير منتظر)

ولما عاد بيتو الى هرامونت وجد جنوده مجتمعين في مادبة مع بعض بنات القرية وهم يأكلون ويتحادثون ويضحكون فجلس بيتو معهم واخذ يأكل ويشرب باشتهاء شديد . فسرى عنه ما كان يجده من تضخم القلب وامتلاء الصدر واضطراب الفكر

ثم انه بعد نصف ساعة لما سطا الخمر على عقله وطرد كل ما كان فيه اخذ بيتو يفكر في حادثته مع كاترين فوجد نفسه قد اساء معاملتها . فاخذ يقول في نفسه ما الذي اوجب

علي ان اخاشن كاترين تلك المخاشنة · ولماذا لم اجاوبها باللطف والمجاملة على لطفها ومجاملتها

ثم في سكرة حبه وخمره ذكران يده لمست يدها وكتفه كتفها وسمع صوتها الرخيم يناديه بكلمات لطيفة ويوبخه توبيخ المحب · وعيناها البراقتان الساحرتان تبث الكهربائية في نفسه وفي كل جسمه فطار صوابه لانه احزنها وتركها على حين فجأة وراح في سبيله دون ان يعبأ بها او يلتفت اليها · ولماذا كل ذلك · الا انها تحب ايزيدور دي شارني ومن يعلم اذا كانت تحبه حباً حقيقياً · ربما انها شغفت بغنى هذا الشاب وشرف مقامه فمالت اليه ميلاً بسيطاً فقط · فهل يستوجب الميل البسيط ان يسخط بيتو هذا السخط على كاترين · ومن يعلم اذا كان شارني لا يسافر في مدة قريبة الى باريز حيث يتزوج بفتاة من العيال الشريفة فتنساه كاترين وينساها

فاستنتج بيتو من كل ذلك انه سلك مع كاترين مسلكاً في غير موضعه وانه يجب عليه ان يعوض ما فاته

ولو كان بيتو شاباً فاسد الاخلاق لقال في نفسه — هذه الفتاة تحب سواي وتُظهر الحب لي خوفاً مني فانا اجاريها في حبها واضحك منها كما تضحك مني

ولو كان شاباً قاسياً جامد القلب لقال في نفسه — هذه الفتاة تحب سواي وتُظهر الحب لي خوفاً مني فانا لا بد لي ان انتقم منها · ولذلك فاني اخيفها واكشف امرها واجعل لها طريق الحرش التي تسير فيها الى حبيبها مملوءة شوكاً وحسكاً

ولكن بيتو كان ذا طبيعة كريمة وقلب طاهر فكان لا يظن السوء باحد ولا يريد الشر لاحد · ولذلك رأى من واجباته بعد كل ما جرى ان يسترضي كاترين ويحسن مجاملتها بدل مخاشنتها والاساءة اليها

وتوصلاً لذلك ينبغي اولاً الوصول الى كاترين

وكان قد انقضى على كاترين اكثر من ثلاث ساعات منذ فارقها بيتو · على ان بيتو كان نشوان من حبه وخمره كما تقدم فلم يفطن لذلك · بل نهض في الحال عن كرسيه وخرج مسرعاً قاصداً الحرش ثم اطلق ساقيه للريح شاخصاً الى مزرعة الاب بيلو وفي يده عصا يتوكأ عليها في ظلمة ذلك الليل ويطرد بها الحيوانات عنه

فاندفع سائراً بخطاه الواسعة التي نعرفها نحو كاترين ولنعد الى هذه الابنة

فان كاترين سارت وراء امها بعد مفارقة بيتو وهي تضرب اخماساً لاسداس وفي

يدها عنان جوادها وكانت تعيد في نفسها الحديث الذي دار بينها وبين بيتو لترى اذا كان يُفهم منه شيء مما تريد فهمه

وما زالت الام وابنتها سائرتين نحو المزرعة حتى وصلتا الى مستنقع قريب منها. وكانت الام متقدمة والابنة متاخرة فمرت الام اولاً ولما اتت نوبة كاترين في المرور سمعت في الظلام حركة خفيفة بازائها فالتفتت فسمعت صفيراً خفيفاً جداً فوقفت اما الام فبقيت سائرة اذ لم تسمع شيئاً

وما وقفت كاترين حتى تقدم منها رجل مسرعاً فوقفت له كاترين غير هيابة كانها اعتادت ان تراه . اما الرجل فدنا من جوادها وهمس قائلاً مولاتي ان مولاي ايزيدور يرجوك ان تنتظريه في هذا المكان

فعرفت كاترين ان الرجل خادم ايزيدور دي شارني ولكنها عجبت من طلبه مقابلتها في تلك الساعة . وتساءلت في نفسها ما سبب هذه المقابلة . هل ذلك للاجتماع بها ومحادثتها كلا . لانه كان يطلب منها ذلك على الاقل بصورة الطف من هذه الصورة . فماذا جرى له اذاً . وما هذا الشان الجديد

كذا كانت تفتكر كاترين حين ابلاغ الرسول هذه الرسالة اليها . ثم انها اجابته بانها تعود هذه الليلة الى ذلك المكان ثم سارت في طريقها

ولما وصلت مع امها الى المزرعة تعشتا بعد الاستراحة مدة وجيزة ثم دخلت الام الى غرفتها لتنام . فدخلت الابنة الى غرفتها ايضاً

فخلعت الام ملابسها واما كاترين فاستلقت على فراشها من غير ان تخلع ملابسها وبقيت تنتظر

وبعد هنيهة دقت الساعة العاشرة . فتقلبت كاترين في فراشها وبقيت تنتظر ايضاً . ثم دقت الساعة العاشرة ونصف ثم الحادية عشرة فنهضت كاترين بتأنٍ ونزلت الى غرفة الطعام

وكانت غرفة الطعام مشرفة على الشارع وفيها نافذة تؤدي اليه ففتحت كاترين هذه النافذة وخرجت منها الى الشارع ثم ابقتها مفتوحة لتتمكن من الرجوع منها

ولما اصبحت في الشارع سارت ركضاً الى المكان الذي وعدت بانها تكون فيها . وكان قلبها يخفق خفقاناً شديداً والنار تتاجج في دماغها لخروجها من بيتها في مثل تلك الساعة وعلى هذا الوجه . وما وصلت الى المكان المذكور حتى كان الاضطراب قد اخذ منها كل ماخذ

فوقفت تحت شجرة هناك تنتظر مرتجفة ويداها واحدة على راسها والاخرى على قلبها

ولكنها لم تنتظر وقتاً طويلاً ٠ فانها ما لبثت بعد بضع دقائق ان سمعت وقع حوافر خيل قادمة ٠ وبعد دقيقة ابصرت ايزيدور دي شارني واقفاً قريباً منها

فمد لها الفتى ذراعيه من غير ان ينزل عن جواده واخذ راسها بين يديه قائلاً ٠ كاترين ان اخي يستدعيني الى فرساليا

ولكن كاترين ما سمعت هذا الكلام حتى شهقت وخنقت صوتاً كاد يخرج من صدرها ثم قالت بل ابقَ ابقَ لا تسافر

فقال الفتى ٠ كاترين لقد قتلوا اخي جورج ولذلك طلب مني اخي الذي هو اكبر سناً مني ان اسافر لناخذ له بالثار ٠ فقالت كاترين وراسها بين يديه مستند الى راسه ٠ بل ابقَ ابقَ رحماك لا تسافر فنقتلني ٠ فقال وما العمل بالشرف يا كاترين فانه يجب ان ننتقم ٠ فصاحت كاترين بهذه الكلمة ٠ يا لتعاستي ٠ ثم سقطت بين ذراعيه ٠ فانحنى ايزيدور عليها فشعرت كاترين بدمعة سقطت على وجهها ٠ فالتفتت اليه وقالت ٠ شكراً لك يا ايزيدور فانني علمت الآن من بكائك انك تحبني ٠ فقال الشاب ٠ القبلة الاخيرة يا كاترين ٠ ثم انحنى على وجنتيها فقبلها بشفتين ملتهبتين وقلب محترق ٠ فلما رات الفتاة انه لا مناص من هذا السفر خانتها قواها كلها فاغمي عليها وسقطت على الارض من بين ذراعيه

وكان ايزيدور يخشى ان لا يقدر على السفر بسبب كاترين مع ان واجباته توجبه عليه ولذلك فانه حين انفصل عنها وانفصلت عنه تزود نظرة منها واعمل المهماز في شاكلة الجواد فسار به الجواد بسرعة البرق الخاطف ووراءه خادمه فبقيت كاترين المسكينة ملقاة على الارض بلا حراك

ولكن لم يغب هذان الفارسان وراء حجب الظلام حتى ظهر رجل ماشٍ بخطى واسعة وهو يقصد مزرعة الاب بيلو وفي يده عصا يتوكأ عليها ٠ وكان هذا الرجل يمشي وهو مطمئن البال ٠ غير انه ما وصل الى مكان الملتقى حتى عثر بشيء كان في وسط الطريق فسقط ممدداً على الارض ٠ وفي سقوطه شعر بوجود جثة انسان وهي التي عثر بها فدنا من وجه الجثة وحينئذٍ اقشعر جلده وارتعدت فرائصه فصاح ملء فمه — كاترين هل ماتت كاترين

ثم صرخ صرخة سمعتها كلاب المزرعة وجاوبتها بالعواء واخذ يدور حول الجثة ويقول كاترين ميتة يالله من قتل كاترين

قال هذا ثم اخذ تلك الجثة الباردة الجامدة بين ذراعيه وجلس بها على حجر هناك وهو دامع العين مصفر الوجه يندب ويقول . آه يا كاترين

تمت رواية « نهضة الاسد » وتليها رواية « وثبة الاسد » وهي تابعة لها

